الجزء الثاني — المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٩ م — ٢٣ شهر رمضان سنة ١٣٧٨ ﻫ

سخرية الشدياق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت كلّما أقلّب النظر في صور رجالات العصر الحديث أحبس هذا النظر على صورة أولعت بها الولع كله، أرى طربوشاً حميدياً منحدراً الى الأذنين كأنّه يَقطينة على رأس صاحبه وعينين ان لم تكونا مثل حبّتين من حمّص ذابل فانهما مثل جوزتين خضراوين ناضرتين يشيع الخبث فيهما وأرى لحية قد بعثرت شعراتها على الخدّين ومن تحتها عقدة ملتفة من العنق الى الصدر يحسبها الإنسان لأوّل وهلة ضفدعاً على منضدة التشريح أرى هذا كله وأرى وقفة تشبه وقفة الأسد فأقول: على أيّ شيء تنطوي هذه الصورة، وأنا غير مطلع على علم الهيئة!

صاحب الصورة أحمد فارس الشدياق.

طلع القرن التاسع عشر فطلعت فيه عبقرية لا أبالغ اذا قلت انها أعظم عبقرية نشأت في تلك الأيام واذا كان المجال لا يتسع للكلام على هذه العبقرية من مجامع نواحيها فاني أرجو أن يتسع للكلام على ناحية واحدة منها انفرد بها صاحبها وهي السخرية.

غير أني لا أستطيع التبسط في هذه السخرية والاشارة الى مختلف مظاهرها الأ اذا أوجزت في الإشارة الى العصر الذي عاش فيه الشدياق لأنّ بين أوضاع ذلك العصر وبين سخرية الشدياق نسبة مستحكمة الأواصر ، لقد هدم وبنى ولكنه لم يستخدم في بنيانه الأ السخرية وحدها ، ثار ثورة على عصره إن لم تنفجر فيها الدماء فقد انفجر فيها شيء أرهب من سفك الدماء ، انفجرت فيها سخرية كان وقعها في الأفهام أشدّ من وقع السهام في الأجسام .

**

راقب الشدياق عصره في أكثر جوانبه ، فلم يغفل عن شيء مما كان يجري في ذلك العصر ، لقد تولى في كتابه : الساق على الساق تدوين سيرته ولكن قد يتخلل هذا التدوين استطراد الى ذكر أمور تتصل بعصره مثل أمور الرهبان والكتائب والحكام والأمراء والأغنياء والنساء والحياة الاجتماعية ومعاملة الترك للشعب وبعض الطوائف والأديان أو ذكر أمور فنية كالشعر والموسيقى وغيرهما ، واذا ما قابلنا بين العصر الذي عاش فيه الشدياق وبين العصر الذي نعيش فيه استطعنا أن ندرك هذا الإمراع الذي تسرعه حياتنا الى الكمال ، فلولا الشدياق وأمثاله من أصحاب العيون الثاقبة والأذهان النافذة لما كدنا نحيط بتلك الظلمات غير البعيدة عنا ونقابل بينها وبين هذا الضياء الساطع في حياة أيامنا .

راقب الشدياق الرهبان في أديارهم وقد كان سبب هذه المراقبة اضطهاد الموارنة لأخيه أسعد الذي كان يحبه حباً جماً ، تتبع زلاتهم وبحث عن خفايا أمورهم وكشف الغطاء عن سيرتهم فلم يجد في الأديار الأ جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

همُ رجال الدين على نحو ما قال لنا أن يتعلموا بعض قواعد في اللغتين العربية والسريانية لمجرّد العلم بها فقط من دون فائدة إذ لم يُعلم الى الآن أنّ أحداً منهم ترجم كتاباً أو كرّاسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا أنّ البطرك

أمر بطبع كتاب فيها وانما كان ينفق دخله على الولائم والمآدب التي يهيؤها لزوّاره وأمراء الجبل ومشايخه .

إلاّ انه لم يقتصر على التنديد بجهل الرهبان وانما ندّد بعفتهم مجال في هذا الباب مجالاً لا حاجة بنا الى الدخول في تفاصيله .

خرج الشدياق من الأديار فضرب بعينه في الكتاتيب فرأى المعلمين في كتاتيب الجبل لم يطالعوا مدّة حياتهم كلها سوى كتاب الزبور وهو الذي يتعلمه الأولاد هناك لا غير من دون أن يفهموه بل فهم معانيه على ما وضحه الشدياق محظور ولماذا هذه الأساليب العقيمة في التعليم لقد شرح لنا ذلك فقال :

« والظاهر أن سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهم المساكين أن يتفقهوا بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباوة » .

غادر الأديار والكتاتيب فدخل السرايا فرأى أن الحكام لا يقلدون الوظائف إلاّ ناساً جهلاء وهذه هي الصورة التي خلفها لنا في هذا المعنى :

« لم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتّاب الأ من بذأت العين خطه وعاف الذوق السليم كلامه اشعاراً بأن الحظ لا يتوقف على الخط وان ادارة الأحكام لا تفتقر الى تهذيب الكلام وان كثيراً قد نالوا المراتب السامية والمناصب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف » .

أديار تكاد الحياة تكون فيها فسخة ، وكتاتيب تعلم القراءة من غير فهم المعاني وحكام يتقلبون في الجهل فكيف لا ينشأ عن حالات مثل هذه الحالات ظلم واستبداد فإذا تعدّى أحد الناس على أحد وفرّ من القصاص أخذ بذنبه على نحو ما رواه الشدياق أحد أهله أو جيرانه أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجره وأحرق منزله .

وكانت للحكام حالة خاصة في الاستملاء فاذا سأل الأمير أحد الناس

عن شيء وتلعثم في الجواب أو تروّى فيه سبّ آباءه وأجداده ولعنه وتهدّده بالصلب أو بسمل عينيه ٠

تغلغل الشدياق بعد هذا كله في طبقات الشعب فوجد أن الأغنياء لا يسافرون ولا يختبرون أحوال الأمم وعاداتهم وأطوارهم وأخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم ووجد أنّ المرأة أمية في عزلة عن المجتمع لا تعاشر أحداً سوى الخوادم وأهل البيت فكانت تحصّل معارفها كلها من الخوادم لا غير ٠

إلاّ أنه رأى في المرأة طبائع حسنة فصوّرها على هذا الوجه :

«من طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور فترى المرأة منهنّ متزوجة كانت أو ثيبة تجلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده وتلقي يدها على كتفه وتُسند رأسها على صدره وتبسم له وتوآنسه في الحديث وتخفه بمص ما تصل اليه بدها ٠ كل ذلك عن صفاء نية وخلوص مودّة وأحسن ما يرى فيهنّ البلاهة فانها في النساء خير من الفكر والدهاء» ٠

لقد أمعن الشدياق في تصوير المرأة في عصره تتبعها في كل شيء ، في محاسنها وأحاديثها وهو مولع بالمقابلات بين نساء ونساء وبين ثياب وثياب ، دخل دمشق فوصف نساءها فقال :

«فأما نساء المسلمين فقد ظهر لي في باديء الرأي أنهنّ أجمل من نساء النصارى كما أنّ الرجال من المسلمين أجمل من النصارى وأفصح لهجة وكذا هم في سائر البلاد الإسلامية ولون النساء عموماً البياض المشرب بالحمرة والغالب عليهنّ الطول والشّطاط غير أنّ هذا الإزار الأبيض التي يتزرن به عند خروجهنّ من ديارهنّ لا يحلو للعين كحبر نساء مصر وكلاهما مخف لمحاسن القدّ ولعلهن يلبسن ذلك عمداً لتأمن الرجال فتنتهنّ فلهنّ الشكر عليه !»

ولم يكتف بوصف أمية المرأة وطبائعها وهيئتها في عصره وانما دخل عليها الدور والمنازل فرأى كيف تأكل وكيف تجلس وحَسْبنا أن نعرف أن النساء كنّ يقعدن على الأرض وهي عادة ألفنها ولا يرين فيها عيباً وأكثرهنّ تبدي ثدييها .

واذا فرغ من مراقبة المرأة في جلستها وأكلها انصرف الى مراقبة الأمراء فقال فيهم : « انهم يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد وربما اجتزأوا بالبيض والأرز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نقل وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعالهم بالقرب منه فتبقى بمرأى منهم وترى بعض خدمهم يقوم على رؤوسهم أي بازائها لا فوقها وفي حزامه الملعقة وآخر في جيبه الطاس من فضة إشارة الى غنى الأمير والى كونه أحد الناس غير مستغنٍ عن العق والشرب وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة لهو تطربه وهو يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوماً وأياماً ولا يرى من امرأة أصلاً . »

لم يغفل الشدياق عن ناحية من نواحي عصره في وطنه ولما ذهب الى مصر عاد الى دأبه من المراقبة والتتبع كان للترك في مصر سلطة . كان لهم سطوة على العرب وتجبر وصفها الشدياق فقال : « حتى ان العربي لا يَحِلّ له أن ينظر الى وجه تركي كما لا يَحِل له أن ينظر الى حرم غيره واذا اتفق في نوادر الدهر ان تركياً وعربياً تماشيا أخذ العربي بالسنة المفروضة وهي أن يمشي عن يسار التركي محتشماً خاشعاً فاذا عطس التركي قال له العربي : رحمك الله ! واذا تنحنح قال : حرسك الله ! واذا مخط قال : وقاك الله ! واذا عثر عثر الآخر معه اجلالاً له فقال : نعشك الله لانعشنا ! »

هذه طائفة يسيرة من أوضاع عصر الشدياق ظلمات بعضها فوق بعض ،

ظلمات في الأديار والكتاتيب ظلمات في حياة الرجل والمرأة ظلمات في الحكم والسياسة ظلمات في الحياة الاجتماعية بحذافيرها ... لقد ثار الشدياق على هذا كله ولكن ما هو المسلك الذي سلكه في ثورته . هذا هو موضوع حديثنا .

***

اذا كانت السخرية في قديم الدهر طريقة بسيطة من طرق المناظرة لجأ اليها سقراط فنسب اليها اسمه فقد أصبحت يومنا هذا طريقة من الطرائق التي نتقي بها العواطف العنيفة وندفع بها عن أنفسنا الأهواء العميقة فنحن نخاف أن نألم ، نخاف أن نتلف ، نخاف أن يزعجونا في عاداتنا وهدوئنا فنسخر بدلاً من أن يكدّرنا مكدّر ، فنضع بهذه السخرية كل أمر من أمور الناس في نصابه ونعلمهم كيف نحكم على سيرتهم ، اننا لا نجرأ على أن نجرح الناس جرحاً مكشوفاً ولكننا نقصد الى أساليب ثانية من هذه الأساليب : السخرية .

هذه خلاصة ما قاله أحد رجال الأكادمية في باريز ، ولقد لجأ الشدياق الى هذه الأساليب التي لا تجرح جرحاً مكشوفاً ، يقول ڤولتير : اذا أردت القضاء على خصمك فاجعله هزأة ، لقـد جعل الشدياق عصره كله هزأة ارادة منه أن يهدمه ويبني بدلاً منه عصراً كاملاً من كل الوجوه .

لم يكن الشدياق من طبقة الكتّاب الذين يراقبون عصورهم فيشهدون مفاسدها وما اختلّ من أوضاعها فيقتصرون على تهديم ما اعوجّ من هذه الأوضاع دون التفكير في شيء من تقويم الاعوجاج والتنبيه على ما فيـه صلاح المجتمع ، وقعت عينه على مساوئ عصره بأجمعها فاستعمل كلّ ما أتاه الله من مواهب السخرية والأدب والعقل في اصلاح الدين وتقويض ما أحاط به من حياة فسخة في الأديار وجهل مستفيض في الرهبان والشعب والحكام والأمراء والشيوخ وفساد في العادات والتقاليد والآداب وقساوة في معاملة الولاة للرعية واستبداد

بأمور السياسة وزهد في الفنون المطيفة وجود في بعض مذاهب الأدب وفي غير هذا كله من أمور الحياة ، لقد ثار على كل مفاسد عصره ولكنه لم يفكر في لفظ من ألفاظه ولا في جملة من جمله ولا في فصل من فصوله في الاغراء بسفك الدماء . لقد كانت ثورته هادئة هدوء نسيم الفجر ، صافية صفاء الينابيع ، آلمه خصام الناس وخلافهم وعداوتهم فدعاهم الى ضروب من الأخلاق لا خصام فيها ولا خلاف ولا عداء ، دعاهم الى بناء الأخلاق على العلم فقال :

«ما بال علماء الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون في أدلتهم وان اختلفوا لم يشبوا ناراً لتحقيق نحلتهم» .

ثار على الرهبان ثورة شديدة ، ثار على جهلهم ، ولكن كيف كان يسخر بهذا الجهل ، كان يلجأ الى طريقة خبيثة في الدلالة عليه تشبه طريقة الجاحظ في القديم فهو يورد النكتة الناطقة عن جهل الرهبان دون ذكر هذا الجهل .

أعمل فكره وهو في دير من الأديار في نظم بيتين في العدس فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس فطرق باب جاره وكان من المتحمسين في الدين فقال له : هل عندك يا سيدي القاموس ، قال : ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران ، فطرق باب آخر وكان أشدّ منه خشونة فقال له : هل لك في أن تعيرني القاموس ساعة قال : اصبر عليّ الى نصف الليل فان الكابوس لا يأتيني إلاّ في هذا الوقت ، فمضى الى غيره وأعاد عليه السؤال فقال له : أيّ شيء هو هذا القاموس يا ماعوص !

وهكذا سخر بجهل رجال الأديار دون شيء من الشتم والقذف وقد أعانه على هذا تبحره في اللغة ووقوفه على غرائب الألفاظ التي تنفخ روحاً في النكتة في بعض الأوقات .

وكما هزأ بجهل الرهبان فكذلك هزأ بالأمراء والحكام ، أراد أن يصوّر

استعلائهم وبعدهم عن طبقات الشعب فقال : ان الأمير في ذلك العصر لا يُرى منه إلاّ قذاله من بعدٍ ولا يتاح لكل واحدٍ تقبيل يده الشريفة .

وقد أضاف الى هذه الصورة صورة أخرى فقال :

واتفق أن زارني في صباح ذلك اليوم بعض الأمراء الذين ينبغي أن يقال لما أثبتوه : نعم ، في موضع لا ، ولما نفوه : لا ، في موضع نعم .

هكذا كانت عقول أمراء الجبل في عصر الشدياق واذا كان الناس على دين ملوكهم فقد كان كتّاب الأمراء على دين الأمراء أنفسهم ، سأل الشدياق أحدهم مرّة مسألة تتصل بخير الحياة وشرّها ، بلذّتها وألمها فصلّها ابن حزم في بعض كتبه فقال كاتب الأمير : انّ سعادتي في الكون هي أن أرضى عن أميري ويرضى عني ، وشقاوتي هي أن أغضب منه ويغضب مني وقد نسبت كلّ ما جرى عليّ من الغضب لكثرة المشادّة والمقتضى فان صبرت عليّ في المستأنف شهراً لأقيد في دفتري ما ألقاه منه حلواً ومرّاً ، ونفعاً وضرّاً أفدتك الجواب !

ولا شك في أنّ هذا النمط من الكتاب أشدّ موافقة لهذا النمط من الأمراء .

ولقد كانت سخريته بالناس الذين كانوا يزهدون في تعليم المرأة مثل سخريته بالرهبان والأمراء وكتّابهم ، لماذا زهد الناس في هذا التعليم ، لأنهم على نحو ما قال الشدياق يزعُمون ان علم القراءة مفسدة للنساء وانّ المرأة أوّل ما تستطيع ضمّ حرف الى حرف تجعل منها كتاباً الى عاشقها .

فهل من كلام أبلغ في السخرية من قوله : ضمّ حرف الى حرف أو قوله : تجعل منها كتاباً الى عاشقها ، في سطر واحدٍ صوّر جهل عصرٍ بحذافيره وصبّ سخريته على هذا الجهل .

انتقل من السخرية بالزهد في تعليم المرأة الى السخرية بالزهد في الفنون اللطيفة ، كان أهل عصره يعتقدون على نحو ما قال ان صنعة الألحان والعزف

بالملاهي يتسم صاحبها بالشين لما في ذلك من التطريب والتصبي والتشويق والقوم يحذّرون من كل ما يلذّ الحواسّ ولذلك لا يشاؤن أن يتعلموا الغناء والعزف باحدى آلات الطرب أو يستعملوها في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخ الافرنجة خشية أن يفضي بهم ذلك الى الالحاد .

غادر هذه الطبقات وتغلغل في المجتمع فوقعت عينه على الأطباء والأطباء لم يسلموا من شرّ الأدباء لا في القديم ولا في الحديث قال الشدياق فيهم :

فاني أرى هؤلاء الأطباء يعالجون الأمراض بالحرص والتخمين فما يهتدون الى العلة والمعلول الأ بعد أن تبلغ الروح الحُلقوم فيجرّبون مرّة دواء ومرّة أخرى غيره ثم لخّص رأيه فيهم في قوله :

غير أن الطبيب رسول عزرائيل متعني من الحركة .

فما أظن أن الهجاء الشديد يعدل قوله : رسول عزرائيل !

وهل كان الشدياق رؤفاً بأصحاب الجنس الأنيس ، رفيقاً بالقوارير ، أراد أن يُظهر طبيعة من طبائع النساء ، ما هي هذه الطبيعة ، ولعهنّ بالثناء والمديح فهو يعرف أنهنّ يجهلن القراءة وعلى الرغم من هذه المعرفة قال فيهنّ :

لا شيء يصعب على فهمهنّ مما يؤول الى ذكر الوصال والحبّ والغرام فهنّ يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور وحسبي أن يبلغ مسامعهنّ قول القائل : ان فلاناً قد ألّف في النساء كتاباً فضلهن به على سائر المخلوقات فقال : انهنّ زخرف الكون ونعيم الدنيا وزُهاها وغبطة الحياة ومناها وسرور النفس ومشتهاها . . . فاذا قدّر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتي هؤلاء الجيلات وسرّت به وفرحت ورقصت وسرحت رجوت منها وأنا باسط يد الضراعة ان تبلغه أيضاً مسامع جارتها وأملت من هذه أيضاً أن تطالع به صاحبتها حتى لا يمضي أسبوع واحد إلاّ ويكون خبر الكتاب قد ذاع في المدينة كلها .

بهذا النوع من السخرية البارعة شهر الشدياق ناحية من نواحي الفساء .

وكثيراً ما كان يجري على أصول الجاحظ في سخريته ببعض المعتقدات فني فصل من الفصول استفاضت طائفة من الأفكار تتعلق بالحياة وفلسفتها فنقل شيئاً مما يتناظر فيه الناس ويتجادلون ، من ذلك قوله :

فقال بعض : ألا ان درجات السماء مائة وخمس فقال غيره : ألا انها مائة وأربع فقال آخر : لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين وسلّ الأنثيين : انما هي مائة وست !

ان اثبات أمثال هذه المجادلات والمناظرات على هذا الشكل لا يخلو من سخرية خبيثة ، فهو لا يتعرّض لها ولا ينقدها أو يناظر فيها وانما يقتصر على ذكرها دون ابداء الرأي فيها ويترك للقارئ الحرية في الحكم عليها .

والخلاصة لم يترك الشدياق أحداً في عصره حتى ان الأدباء والشعراء والمتشيّن لم ينجوا من سخريته كما لم تنج منها بعض عناصر الثقافة وفي مقدمتها النحو . روى كلاماً على لسان بعض الأساتذة يتصل بتطويل أبواب النحو وأظنه هو صاحب هذا الكلام قال : قد طالما كان يخامرني الريب في قضية خلود النفس فكنت أميل الى ما قالته الفلاسفة من أنه كل ما كان له ابتداء فهو متناه فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عني والحمد لله ذلك الابهام !

أمّا في باب السياسة القومية فقد لجأ الى تحريك العرب بشكل من السخرية يهزّ الجماد قال : وقد سمعت ان الترك هنا ، أي في الاسكندرية ، عقدوا مجلس شورى استقرّ رأيهم فيه لدى المذاكرة على أن يتخذوا لهم مركباً وطيئاً من ظهور العرب فانهم جرّبوا سروج الخيل وبراذع الجمال وأكفها وأقتاب الابل وبواصرها وحُضُرها وسائر أنواع الحامل فوجدوها كلها لا تصلح لهم ...

وما أظن أن كلاماً يستفزّ العزائم أقوى من هذا الكلام ثم استمرّ في هذا النحو من السخرية فقال :

ولم أدر ما سبب تكبر هؤلاء الترك على العرب مع أن النبي (ﷺ) كان عربياً والقرآن أنزل باللسان العربي والأئمة والخلفاء الراشدين والعلماء كانوا كلهم عرباً غير اني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون أن النبي (ﷺ) كان يقول : شوبله ! بوبله ! أو : بقالم ! بقالم ! لا والله ما كان هذا لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين ، رضي الله عنهم أجمعين الى يوم الدين . آمين ! آمين ! وبعده آمين !

خلق الشدياق خفيف الروح والظل ومن نظر الى صورته في شيخوخته فلا بدّ له من أن يرى في تضاعيفها شيئاً من هذه الخفة على أنه لم ينشأ في صدر حياته على النعيم والترف وإنما ذاق كثيراً من مرارة الحياة قبل أن يصل الى حلاوتها ونضارتها فقد كان على نحو ما قال 'يكبّ على النسخ وفي طلعته مبادئ المسخ فكان 'يرى غائر العينين ذاوي اليدين ناتئ عظم الخدين زاني الجلد كالظل حتى كان يرثى لحاله وأظن أن لخشونة حياته سراً كبيراً في سخريته الا ان مزاجه غلب على مصاعب الحياة وكان مرح نفسه أقوى من كآبتها فما كانت تمرّ به فرصة دون اغتنامها للتخفيف من كربه ومن يدري فقد تكون شدّة الحياة على بعض النفوس باعثاً لها على النشاط والضحك والإضحاك نشأ كما مرّ بنا في عصر ظلماته بعضها فوق بعض فاستعان على الخروج من هذه الظلمات وعلى إخراج أهل عصره منها بالسخرية فهو لم يشبه أولئك الكتّاب الذين تسودّ الدنيا في عيونهم فيسوّدونها في عيون الناس . انه على الرغم من كل ما عاناه في أوّل حياته ضحك للدنيا وما زال يضحك لها حتى ضحكت له فصار في أكنافها الى النعيم وأورثنا بفضل مزاجه المرح الضاحك الساخر ميراثاً من الأدب يظلّ خالداً على مرّ السنين .

ولم يقتصر على السخرية بمجتمعه وحده وانما رحل الى مالطة والى بلاد الانكليز فأفرغ سخريته على كل ما انحرف عن سواء السبيل في كل أمر من أمور الحياة فقد أصبحت السخرية ملكته الغالبة وسلطانه القاهر . تتبع أهل مالطة في كل شيء ، تتبعهم في طبيعة بلادهم وتحدّاهم في طائفة من معتقداتهم وعاداتهم في الزواج وآدابهم في الأكل والمخاطبات ونقّر عن بلادة عقولهم وعن ضيق لغتهم وعن تقاليدهم ولم ينجُ من قلمه البغايا أنفسهنّ .

سخر بآدابهم في الأكل فقال : واذا دعوت أحداً منهم الى مأدُبة لم يكن منه في خلال التهامه ما بين يديه إلاّ الثناء على نفسه بأنه قليل الأكل .

ولكنني أرى أن كل أنواع السخرية بأهل مالطة في كفة وان النوع الآتي من السخرية بالبغايا في كفة وحدها ، قال فيهنّ :

« وحين يأتين الفاحشة يغطين وجوه صور القديسين التي في حُجرهنّ ويقلبنها تأدبًا وتورعًا » .

ما أطبعه على روح السخرية ، أيّ تأدب أم أيّ تورع في مقام مثل هذا المقام !

ولما ذهب الشدياق الى بلاد الانكليز اتسعت آفاق سخريته راقبهم في حركاتهم وسكناتهم ، سخر بالأساقفة كما سخر بالشرفاء ، فرغ من هذه الطبقة فانصرف الى جامعات الانكليز فلم يسلم المستشرقون وطلاّب الجامعة من تهكمه كما لم يسلم من هذا التهكم كتّاب الصكوك في انكلترة ولم يعفّ عن النساء في بعض الأوقات .

بعد هذا كله التفت الى مجتمعات الانكليز فاستهزأ ببعض آدابهم في المآدب وبعض عاداتهم وسخر بمآكلهم وطبخهم ودخل دورهم فسخر بمعاملة سيدات الدور للخوادم خرج من الدور فراقب الانكليز في لهوهم وحفظهم ومراكبهم فلم يوفر

لم أذواقهم في هذا اللهو وهذا الخط وهذه المراكب ثم حرف نظره الى هيآت الانكليز فسخر بهذه الهيآت وببعض ثياب أصحابها كما سخر ببلادة الانكليز وطبائعهم وتحياتهم واجتماعاتهم ومعتقداتهم ومعاملاتهم الرسمية ·

واذا تعذّر الاستقصاء في أنواع هذه السخرية كلها فلا أقلّ من الإشارة الى بعضها ·

مساكين هؤلاء الرهبان الذين وقعوا في لسانه ، كان يتكلم على الأساقفة في قرى الانكليز وعلى منزلتهم في الناس فقابل بين ترفهم ونعيمهم وبين حضهم الناس على التقشف فقال :

وربما بلغ دخل أحدهم ألف ليرة فترى له أحسن الديار وعنده خدمة وعاجلة فاخرة وخادم يسوقها وعلى برنيطته شريطة من ذهب كخدمة الأمراء ثم اذا صعد المنبر وعظ المساكين المحتاجين الى القوت الضروري بالزهد في الدنيا وتجنب شهواتها ! · · ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيُّ مقابلة أبلغ من المقابلة بين ترف هذا الأسقف في حياته وبين دعوة الناس الى الخشونة · · ·

أما طبقة الشرفاء في بلاد الانكليز فكانت سخريته بسخافاتهم فهي اذا خلت من الأذى فانها لا تخلو من الإضحاك ، وهذه هي مراسم زيارتهم ·

« وينبغي لمن أكرمه الله عزّ وجلّ بزيارة أحد هؤلاء الأمجاد والماجدات ألاّ يذهب إلاّ في وقت الزيارة المعلوم وهو بعد الضحى وأن يكون مجمّلاً باللباس الفاخر نظيف الثياب حالقاً شاربيه مرجّلاً شعر رأسه بارداً أظافيره ماسحاً نعليه ساتراً كتفيه بجلد أبيض فان قولنا : المرء بأصغريه ، ولا تكلك العباءة وانما يكلك صاحبها ، ورب حرّ ثوبه خلق لا محلّ له من الإعراب عندهم » ·

وقد تكون اللفظة في بعض الأوقات هي التي توحي الى الشدياق روح السخرية فمن قوله بعد أن وصف ما وصف من عادات أمجاد الانكليز وتقاليدهم :

وفي الجملة فان معاشرة هؤلاء الرؤس تتعب الرأس والرجل معاً وتضيع كثيراً من الوقت والمال وربما دعاك أحدهم الى غداء فقام عليك ذلك الغداء مقام عشرة أغدية ..

أما نساء الانكليز فقد ضربهن في المقاتل لما تعرّض لفتهن . كان يصف الزواج ومراسمه فقال :

ولا بدَّ للمتزوجة أن تلبس خاتم الزواج في بنصر يدها اليسرى ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وان كان لها خمسة بعول .

ولم تكن سخريته بالمجتمع الانكليزي أقلّ من سخريته بالانكليز أنفسهم فقد راقب في هذا المجتمع آداب القوم في المآدب وبعض عاداتهم فوجد فيها مادّة للسخرية . قال في بعض هذه المآدب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدبني أو أدب طربوشي أحد الوجوه في كمبريج الى أن أشرب الشاي معه فقال : هل لك في أن تشرب الشاي معنا في إحدى الليالي ولكن بعد ثلاثة أسابيع قلت : نعم ، حتى اذا مررتُ اليه لم أجد على المائدة غير الصنف المعتاد منه مع أني كنت أظن أن توقيت تلك المدة انما كان لجلبه من بعض البلاد .

ولئن سخر بغرابة عادات الانكليز في مآدبهم فقد سخر ببخلهم فقال لزوجته :

ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند أحد أكابرهم أن تأكلي هنا من قبل أن تذهبي فان المدعوين لا يأكلون عند أدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا ...

ولقد كانت سخريته بما يتعلق بالمآدب والطعام خصبة فمن عادة الانكليز أن يدّخروا صنوفاً من الطعام فقال الشدياق : فربما كان عمر السمكة بعد صيدها أطول منه قبله .

وكيف يزرّ الشدياق بالانكليز فيرى هيآتهم ولا يفطن الى ثيابهم فمن سخريته بخياطة هذه الثياب قوله :

فان من يشتري ثوباً مخيطاً في لندرة يلزمه أن يستأجر معه خياطاً ليصلحه له في كل يوم ·

والخلاصة اذا لم يجد الشدياق أحداً يسخر به سخر بنفسه من ذلك سخريته في مقدمة فصل عنوانه : الثلج :

لا غرو أن يجد بعض القارئين كلامي في هذا الفصل بارداً لأني كتبته في يوم عبوس قمطرير ذي زمهرير !

***

ARCHIVE

أكتفي بما أشرت اليه من أنماط سخرية الشدياق ولم أعرض هذه النماذج لمجرّد العرض وحده وانما أحببت أن أستخرج من كل ما ذكرت، أن الشدياق اذا خلق في ظلمات القرن التاسع عشر فقد عاش بعقله في ضياء القرن العشرين · لقد سبق عصره وتعدّاه وانتقل بعبقريته الى العصر الذي بعده فلئن كان ثائراً في مقدمة الثائرين فقد كان مجدّداً في طليعة المجدّدين ومصلحاً على رأس المصلحين ·

يقول « اندره موروا » في فصل من كتابه : دراسات أميركية : من الكتب كتب تنزل حين صدورها منزلة الآيات البينات ثمّ لا تلبث أن تموت بعد بضع سنين وأن ينساها الناس على وجه الدهر ، ومن الكتب كتب ثمل الشعور حين صدورها فلم ترق الناسَ إلاّ أنها احتفظت بشباب عجيب ودخلت جنّات الخالدين ·

فاذا صحّ هذا القول وأظنه صحيحاً فان كتابات الشدياق جرحت بعض

الشعور حين ظهورها إلاّ أنها على الرغم من ذلك احتفظت بشبابها واذا لم تدخل حتى اليوم جنّات الخالدين فقد آن لها أن تدخل هذه الجنّات .

لقد أبدع الشدياق في كتاباته حلاً لحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ولكنه أبدع هذا الحلّ بروح جديدة في الأدب وهي السخرية ، انا نعيش في عصرٍ تباينت فيه العقائد وتباعدت المذاهب وتفاوتت مهابُ الأفكار الحديثة وكل واحدٍ يدافع عن عقيدته ويناضل دون مذهبه ويرامي دون مهابّ أفكاره ولكن كل واحدٍ لا يستطيع أن يضبط من جِماح بيانه أو لسانه واذا قبح شيء في هذا الدفاع وهذا النضال وهذه المراماة فلا يقبح شيء مثل جماح البيان واللسان فاذا طأمنا الشدياق أمراً فقد طأمنا هذه السخرية في تقويم كل اعوجاج واصلاح كل فساد ولا شك في أنها تعمل في العقول ما لا يعمله أيّ جماح كان .

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية»

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٣ —

ونحن نخالفهم جميعاً لسببين : الأول لأنهم اختلفوا جميعاً ولم تكن آراؤهم إلا من قبيل الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء حقيقة لغوية وتأريخية على الظن والحدس والتخمين ، والثاني لا نرى موجباً في هذه الحادثة يحمل امرأ القيس أمير العرب على أن يحمل «بنيه» فوارس «للروم أو للفرس ، ولا سيما أن الأستاذ رودنسون درس امكان انحياز امرئ القيس هذا الى جانب الروم والفرس ، وخرج بنتائج مبهمة متناقضة رغم تحرياته الكثيرة ، ولذلك نضطر الى سبر غور هذه الجملة (فرسو لروم) في اللغة السريانية فنقول :

يحتمل التصور أن تكون كلمة «فرسو» مستمدة من كلمة (الفارس) العربية أو من كلمة (ܦܪܫܐ) السريانية ، إلا أن (ܦܪܫܘ) فرسو في حالتها الحاضرة بعيدة عن هذا المعنى بالنسبة الى صيغتها الفعلية ، لأنها أي (فرسو) (ܦܪܫܘ) فعل ماض لجمع الغائب ومعناها بالضبط (بسطوا ، نشروا ، مدوا ، انتشروا ، سموا) .

وأما الكلمة الثانية من الجملة فهي (لروم ܠܪܘܡ) ومعناها العلى والمعالي وما الى ذلك ، وتكون القراءة الصحيحة لهذه الجملة «فسموا الى العلى أو المعالي» ، ولا سيما أنها أردفت بالجملة العربية الفصيحة وهي «فلم يبلغ ملك مبلغه» . ونستطيع هنا الخروج بالنتيجة الأخيرة وهي أن هذه الجملة جملة آرامية توضح سمو الانتصار الذي أحرزه (امرؤ القيس) لقبيلته وبنيه ، وهي عندنا أصح من

كل المعاني التي أضفناها عليها علماء الساميات لجهلهم روح اللغة الآرامية ، وترجمة ألفاظها بدقة .

٥ — بقيت لدينا الكلمة الأولى من السطر الخامس من هذا الرقيم الهام وهي (عكدى) ، وقد أثبتها الأستاذ ولفنسون في «الحول» (عكدى) ، وقرأها الأستاذ رودنسون «قط وهلك» ونحن نخالفهما في ذلك ونقول إن الكلمة هي «عكرى» لا «عكدى» كالكلمة السابقة «عكرى» ، ولكن يختلف معناها بالآرامية عن الأولى ، فعلنا أن تلك معناها «منع ، عطل» ، أما هذه فهي مستمدة من كلمة «عكرا حىا» ومعناها «ذرية ، سلالة ، قبيلة» منها (ص ٤٤٠) . ونحن نميل الى إعطائها أحد هذه المعاني ، وتكون قراءة الجملة كما أثبتناها : «وذريته أو قبيلته ، وهلك سنة ...» ، وهي معطوفة على الجملة السابقة : (لم يبلغ ملك مبلغه وذريته أو مبلغ ذريته وقبيلته) .

تبلغ هذه الكتابة زهاء ٤٨ كلمة تخللها احدى عشرة كلمة آرامية وهي من الجمل البليغة بالآرامية كجملة (امر التاج ﻫﻤﺘﺎ) و (فر « ﻫﺘﻤﻪ ﻟﺘﻤﻪ » سموا الى العلى) وغير ذلك من دقائق الآرامية ، وما عدا ذلك فان وضع كثير من الكلمات العربية يشبه الوضع الآرامي الغربي ، أي بالإمالة الى الضمة الأخيرة كقوله : «نزارو ، معدو ، كلهو — ﻛﻠﻬﻮ أي كلهم ، فرسو» ، وهنا يجب أن نعلن أن في هذا الرقيم تجمعت مادة من اللغتين الشقيقتين وهو ما يؤيد تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في مختلف عصور التاريخ .

واذا تقدمنا نحو الجنوب ، نجد هناك مدنية كاملة آرامية وعربية هي مدنية الانباط التي ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أنقاض المملكة الآدومية ، وكانت عاصمتها (سلع) وهذه كلمة آرامية وعبرية معناها الصخرة الناتئة[1] .

(١) قاموس أودو السرياني ص ١٩٨٢ وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٥ وهي بالآرامية ﺳﻠﻌﺎ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسماها اليونان بترا Petra كما عرفها العرب بـ (البطراء) أخذاً عن الكلمة اليونانية ، وتوسعت مملكة الأنباط (أو النبط أو النبيط) فانحدرت الى بلاد الحجاز من جهة ، ثم صعدت شمالاً حتى بلغت صحراء سورية وشملت دمشق ووصلت الى أطراف نهر الفرات .

أسست هذه المملكة بين القرنين الرابع والخامس ق . م . ، وقرضها الرومان سنة ١٠٦ م ولعبت أدواراً هامة في تأريخ الشرق العربي .

يعتقد علماء الساميات أن النبط خليط من أقوام آرامية وعربية [١] ، لانتشارهم في بلاد عربية واسعة حتى عرفت مملكتهم في طور سيناء باسم بترا العربية ، ولأن لغتهم الآرامية تتخللها ألفاظ كثيرة عربية ، ولوجود أعلام كثيرة شبيهة بالعربية في تاريخهم ، وكذلك أسماء الأصنام العربية .

أما لغة حضارتهـا فهي الآرامية رغم تغلب العناصر العربية على العناصر الآرامية المؤسسة لهذه الدولة في أيامها الأخيرة ، واذا أضفنا الى كل ذلك أسماء الاعلام المستمدة من العربية كأذينـة ، وعبده ، وأوس ، وأسد ، ومعن ، وجذيمة ، وأوس الله ، وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، ويرغوث ، وبكر ، وحنضل ، ورجب ، وانظم ، وكعب ، ووهب . (وقد ذكرها جميعاً الأستاذ ليتمان في بحثه في الأعلام النبطية بالإضافة الى جملة أعلام مستمدة من مصادر يونانية ورومانية وفارسية) [٢] ، نستطيع القول ان اللغة العربيـة سارت مع الآرامية في هذه المملكة جنباً الى جنب كل تلك المدة الطويلة ، وتأثرت كل منها بالأخرى ، ولعمري انها الفة طويلة المدى استطاعت ان تقدّم للتاريخ مدنية خاصة آرامية عربية أو عربية آرامية .

---

(١) Rubens Duval

(٢) في كتابه Littman : Nabatean Inscriptions

وقد قرر علماء الساميات أن لغة النبط الآرامية والأبجدية الآرامية واتصالها بالعرب اتصالاً مباشراً أثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العربية الوثنية القديمة، وأفادت منه اللغة العربية فوائد عظمى في شمال الجزيرة (١).

ووُجدت آثار اللغة النبطية (الآرامية والعربية) في جميع المناطق التي تبوأتها هذه الدولة، وظهر بعضها في منطقة بصرى الشام، وبعضها في منطقة البتراء نفسها، والبعض الآخر في العلى بالحجاز، وهي آثار متشابهة الا أن الرُقُم المكتشفة في بصرى تمتاز عن بقية الرقم بظهور مسحة رومانية عليها، وهذا لا يشوه كيانها الخاص الآرامي العربي. ونستدل من هذه الآثار على أن اللغة الآرامية، وإن تخللتها عناصر عربية هامة، قد حافظت على كيانها، بل طبعت العناصر العربية بطابعها الخاص. مما أدى إلى امداد العربية بمادة آرامية غزيرة. وأقدم الرقم النبطية يعود تاريخه الى سنة ٣٣ ق. م، وأحدثها بعد زوال الدولة سنة ١٠٦ م.

درس الأستاذ ليتمان آثار النبط دراسة دقيقة، وخرج بنتائج هامة تاريخية ولغوية؛ واننا نستمد هذه الآثار الكتابية، وهي آثار ضريحية غالباً درسها كثير من علماء الساميات (٢) وهذا أحدها:

(١) رقيم فهر وجذيمة

يتكون هذا الرقيم من ثلاثة أسطر قصيرة، وقد وُجد في أم الجمال من أعمال شرقي الأردن، وذهب الأستاذ ليتمان الى أنه دُون في عهد غير بعيد من العهد الذي دُون فيه رقيم النمارة الآنف الذكر، واليك ذلك كما ورد بعد قراءته:

---

(١) Corpus Inscript. Semitic, Pars 11 nos 157—189. وراجع أيضاً ص ٢١٥ من Cooknorth : Semitic Inscriptions.

(٢) Monnaies Nabatiennes. Revue Numismatique 1905.

الأصل	وهذه ترجمته[1]
(١) دنه نفشو فهرو	(١) هذا قبر فهر
(٢) بر سلي ربو جذيمة	(٢) ابن المحارب العظيم جذيمة .
(٣) ملك تنوخ	(٣) ملك تنوخ

استعرضنا هذا الرقيم في كتاب اللغات السامية للدكتور ولفنسون ، فارتبنا في ترجمة السطر الثاني منه لورود كلمة (ربو ܪܒܐ) بعد لفظة (سلي) . وقد أثبت معنى (ربو) ، ربي ، وهذا المعنى ليس صحيحاً لهذه الكلمة فان معناها الصحيح هو (العظيم ، الكبير وما اليها) . فاذا وضعناها في معناها الصحيح بعد كلمة (سلي) واعتقدنا « سلي » علماً يفسد معنى السطر كله تماماً . لذلك اضطررنا الى الشك أيضاً في كون كلمة (سلي) علماً ، وعدنا الى معاجم اللغة السريانية نستقصي معنى (سلي) فوجدنا أنها لا يجب أن تقرأ (سلي) بل (شلي) بالشين . وقد توهم من قرأها بالسين ، ونحن نعذره لأن حرفي السين والشين لها رسم واحد في الأبجدية النبطية ، والشاهد على ذلك أن الحرف ذاته وبصورته هذه قرأوه في رقيم آخر (شيئاً) لا (سبنا) ، وعلى ذلك يكون تقديرنا بكونه (شلي) صحيحاً . ثم نعود الى كلمة (شلي) نفسها فلا نجدها علماً بل صفة تابعة للعلم (فهر) ومعناها (المحارب) أو (المقاتل) ، وهي مستمدة من كلمة (ܫܠܘܠܐ شلولو) أي (معركة ، اشتباك الحرب ، الحرب)[2] . أما فعلها فقد ضاع في السريانية ، وبكل تأكيد كان موجوداً في الآرامية سابقاً . ونقدر أن يكون (ܫܠ شل) فتكون كلمة (شلي) مأخوذة من

(١) ان كلمة « نفشو » بالسريانية ما عدا النفس تعني أيضاً : هرم . قبة مدفن . منا ص ٤٦٠ ، وهي كما عرفها الآراميون سابقاً تماماً .

(٢) قاموس أودو السرياني ص ٩٨٢ استناداً على شرح اللغوي الآرامي بن شرويشون ، وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعل (شل - الحرب) ومعناها بالضبط (المحارب) ؛ واذا شفعناها بكلمة (ربو) يستقيم المعنى تماماً ، لأن (ربو) العظيم وُضعت صفةً للمحارب ، فنقول (المحارب العظيم) كما أثبتناها ، ويكون الرقيم اذاً « نفش فهر بن جذيمة » لا « فهر بن سلي » كما أثبتها ولفنسون [1] .

أما ارتيابنا في عدم صحة الترجمة في السطر الثاني فهو في محله ، لأن هناك آراء مختلفة حول (سلّي) ، فذهب الأستاذ ليتمان الى أن لفظ سلي يحتمل أن يكون مشتقاً من (سليم) العربية ، ويفضل نولدكه أن يكون هذا اللفظ (صلاه) ؛ ويؤثر الأستاذ ولفنسون أن يكون من (الأسماء الآرامية الأصلية) [2] ، وهو نعت (لاعلم) كما أثبتناه ، ومما يلاحظ أن هذا الرقيم صيغت كلماته بحسب اللهجة الآرامية العربية أي بالإمالة نحو الضمة الخفيفة (الزفاف) .

وقد أثبت الأستاذ ولفنسون في كتابه (اللغات السامية) [3] رقماً أخرى من الرقم النبطية ، وهي كالرقيم السابق صريحية كلها ، ولم نر حاجة إلى إثباتها لأن جميع هذه الرقم لا تتعدى أن تكون لغتها آرامية ، وفي بعضها جنوح الى الأسلوب العربي ، وفي البعض الآخر أسماء أصنام عربية ، وهذه الأمور تفيدنا في إثبات أن اللغتين الآرامية والعربية تفاعلتا في مدنية الأنباط ، فكوّنتا هذه اللهجة الخاصة التي نراها في هذه النقوش .

وهنالك لون جديد آخر في المدنية الآرامية العربية ، وهذا يظهر لنا في آثار مدنية تدمر ، وهي أحدث عهداً من المدنيه النبطية ، فان نقوشها الأثرية لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ويمتد تاريخها الى القرن الثالث ، ولكنها مفيدة جداً بالنسبة الى موضوعنا هذا .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٣٩ .
(٢) اللغات السامية ص ١٤٠ .
(٣) اللغات السامية ص ١٤١ - ١٤٤ .

ان كلمة « تدمر ܬܕܡܘܪ » آرامية معناها « الأعجوبة » ، وهي من المدن القديمة جداً ، ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان الملك بناها في البرية ، ومها يكن الأمر فانها أقدم جداً من الآثار المنقوشة الباقية على أنقاض هيا كلها القديمة وأساطينها التي ما زال بعضها واقفاً . واشتهرت تدمر بتجارتها الواسعة فأمها التجار من الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ، وكانت رومة سيدة العالم القديم تهاب جانبها فمنحتها حقوقاً خاصة لم تمنحها لغيرها من مدن الشرق الخاضعة لسلطانها .

وما يهمنا في موضوعنا هذا لغتها وتعاون لهجتها هي واللغة العربية ، وقد كانت القبائل التدمرية من العنصر الآرامي امتزجت به بعض العناصر العربية ، وهو ما أبقى من لهجتها الآرامية آثاراً عربية بيّنة ، كما أثرت لغتها الآرامية باللغة العربية تأثيراً مها ، وأعظم ناحيـة عربية في لغة تدمر هي الأعلام العربية وما اليها بالاضافة الى تأثرها بألفاظ يونانية ورومانية كثيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهرت معظم الآثار التدمرية في منطقة تدمر ، ووجدت نقوش تدمرية في إفريقية ورومة وبلاد المجر وانكلترة لأن جموعاً كثيرة من التدمريين دخلوا الجيش الروماني [1] .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الأستاذ ولفنسون ذهب الى أن لغة تدمر « تشبه اللهجات الغربية الآرامية على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المألوف في الآرامية الشرقية » [2] ، وكنا قد علقنا على هذه النظرية في بحثنا « تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية » وقلنا إن اللهجة التدمرية هي لهجة آرامية غربية صرفة ، وسبب ظهور بعض الألفاظ بمسحة اللهجـة الشرقية يرجع الى اتصالها باللغة العربية [3] . والآن نؤيد رأينا نظراً لما نراه في هذه اللهجة من الصبغة الغربية الصرفة .

(١) شابو تعريب الأستاذ شكري لورنس ، نشره الأستاذ مراد سري جلبي ص ٢٨ .
(٢) ولفنسون ص ١٢٨ .
(٣) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٣٦ .

ان لغة تدمر الأولى ، وإن كانت خالية من الألفاظ العربية ، بعكس اللغة النبطية ، الا أننا نعتقد أن عناصر عربية دخلتهـا بعد امتزاج العناصر العربية بقبائلها الآرامية ، وعلى الأخص بعد سنة ٢٧٢ م حينما انتهت سيادة المدينة بأسر ملكتها الباسلة الزباء [١] إذ كثرت العناصر العربية رويداً رويداً ، وتحوّل الشيء الكثير فيها الى اللون العربي ، ومن الطبيعي أن تتأثر اللغتان الآرامية والعربية بهذا التمازج العنصري الشديد .

وقد درس علماء الساميات لغة تدمر الآرامية دراسة وافية ، واستخرجوا منها فوائد لغوية وتاريخية هامة ، وأشهر الذين درسوها ونشروها الأستاذ ليدزبارسكي [٢] ، وكايرمونغانو ، وود الذي نشر رقماً تدمرية هامة [٣] ، ودي فوغويه [٤] وغيرهم .

ونجد مدنية آرامية عربية أخرى في مدينة الحضر العراقية مشابهة تمام المشابهة لمدنية تدمر ومعاصرة لها ، ثقافتها آرامية صرفة إلا أن الأقوام التي عمّرت هذه المدينة كانوا على الأرجح خليطاً من الآراميين والعرب كما كانت الحال في تدمر وفي البتراء ، وقد ذهب المؤرخ جورج رولنسون الى أبعد من ذلك فأورد آراء المؤرخين القدماء ، وذهب الى أن سكان الحضر كانوا عرباً خلصاً . ومعنى ذلك أنهم كانوا يتكلمون العربية بطبيعة الحال لكونهم عرباً ، ولكنهم كانوا يدوّنون أخبارهم بالآرامية ، بدليل ظهور آثار آرامية صرفة في هذه المدينة ، وقد نقل صديقنا الأستاذ فؤاد سفر في مقاله النفيس « حفريات الموسم الأول ـ الحضر » المنشور في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، نقل كلام المؤرخ المشار اليه ، ونحن ننقله هنا لفائدته

(١) ولفنسون ص ١٣٣ .

(٢) Handbuch dere Nordsemitischen Epigraphik

(٣) Wood : Les Ruines de Palmyre, Londres in — Fol.

(٤) M. de Vogué : Syrie Centrale Inscriptions Sémitiques « 105 Nos. »

الكبرى في موضوعنا هذا . قال : «الحضر عاصمة لمجتمع عربي في عصر الانبراطور طريانس ، فقد استوطنت القبائل العربيـة مناطق من الجزيرة منذ أقدم الأزمان ، وعدّ زنفون الأرضين المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءاً من جزيرة العرب ، وعدّها سطرابون قسماً من العربية الصحراوية ، وظهر العرب في الجزيرة العليا في زمن بومبي ، وذكر بلوطارخ وابيان أن سكان مملكة الرها كانوا عرباً ، وذُكرت الحضر في حروب طريانس لأول مرة ، وقيل عن أهلها كما ذُكروا منذ تلك الحرب بأنهم عرب [1] » ، وأضاف الأستاذ سفر بقوله : «وشخّصهم عرباً ديوكاسيوس أشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان» .

ثم يعود الأستاذ سفر فيعلّق على هذا معللاً سبب وجود اللغة الآرامية في آثار الحضر فيقول : «ولا يمكن أن نتخذ الكتابة الآرامية المكتشفة في الحضر دليلاً على أن الحضريين كانوا آراميين ، لأن الآرامية كانت في تلك العصور لغة المعاملات التجارية والتداول والتراسل ، بين شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم ، فقد كتب بها ملوك الفرس الاشكانيين (الاشكانيون) ، وكذلك ملوك الدويلات التابعة لهم ، ويحتمل جد الاحتمال أن دوّن بها العرب الحضر عربا ، ونترصّد في التنقيبات المقبلة في هذه المدينة الى أدلة تاريخية قد تلقي ضوءاً على هذا الموضوع » [2] .

ونحن لا حاجة بنا الى مناقشة هذه النظرة لعدم وجود مصادر ثابتة الى الآن تؤيدها او تنفيها ، وإن كان المؤرخون القدامى قرّروا ذلك ، وحاجتنا فقط الى

(١) فؤاد سفر عن المؤرخ جورج رولنسون من كتابه The sixth Great Monarchy ص ٣٣٤ – ٥ .

(٢) مجلة سومر الجزء الأول المجلد الثامن سنة ١٩٥٢ ص ٤٦ .

التصريح بأنه سواء كان سكان الحضر مزيجاً من الآراميين والعرب شأن سكان تدمر والبطراء ومملكتيها ، أو كانوا عرباً خلصاً ، فمن المؤكد وجود اللغتين الآرامية والعربية في هذه المدينة جنباً الى جنب . ومن المؤكد حدوث التقاء طويل وتفاعل كامل بينهما في هذا الصعيد الموحد ، ولا بد لهذا التفاعل من ترك آثاره في كلتا اللغتين حسبما شاهدنا في مملكتي تدمر والبتراء .

ومع ذلك لا نرى الا أن سكان الحضر كانوا مزيجاً من العرب والآراميين ، شأنهم شأن سكان البتراء وتدمر . ومما يقوّي رأينا هذا ورود اشارات تاريخية صريحة عند بعض الكتبة وهي أن (الساطرون) كان جرمقانيا [١] وقومه جرامقة [٢] ، والجرامقة اراميون بشهادة كثير من المؤرخين [٣] ، ونولدكه وهو من المستشرقين يؤيد أن (الجرامقة) من أصل آرامي او نبطي [٤] ، وطبعاً لا يمكن الجزم بأن جميع السكان كانوا (جرامقة) . وقد ذكر الأصبهاني أن العباد من قضاعة ، وهم نصارى العرب ، نزلوا الحيرة ، فهزمهم شابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحضر ، وهنا الساطرون الجرمقاني فاقاموا به [٥] . وهذا يكفي الآن للدلالة على وجود الأقوام الآرامية ، ثم على ورود موجة عربية من قضاعة ونزولهم عليهم ، مع العلم أنه أطلق على أحد الضيازن اسم (برشميا ܒܪܫܡܝܐ) ومعناه (ابن السماء) فتأمل .

---

(١) الاغاني الجزء ١١ ص ١٦٢ ومعجم البلدان (مادة الحضر) .

(٢) ابن خلدون الجزء الثاني ص ٢٤٩ .

(٣) احمد ابن الفقيه الهمذاني مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦ .

(٤) مجلة لغة العرب السنة الثالثة (١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٧٢ ، التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٦٨ .

(٥) الأغاني جزء ١١ ص ١٦٢ .

الى الآن كنا نتكلم عن المدنية المشتركة بين العرب والآراميين في عهد الوثنية ، وقد رأينا هاتين الأمتين الشقيقتين متلازمتين متجاورتين منذ أبعد عصور تاريخها الموحد ، كما رأينا لغتيهما متساندتين متعاونتين منذ نشوئهما الى عهد النضج والانتاج ، والآن ننتقل الى العهد المسيحي لنجد اللغتين الساميتين متماسكتين في عروة وثقى لا تنفصم .

تمَّ هذا اللقاء في مدينة الحيرة العراقية ، وكانت تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال الى جنوبيها [١] ، وعن النجف مسيرة ساعة للفارس الى جنوبية الشرقي [٢] وفي هذه المدينة تجمّعت قبائل عربية كثيرة من العنصر العربي ؛ وحكمتهـا سلالتان عربيتان هما التنوخيون واللخميون ، وورد ذكر بعض قبائلها العربية مثل مذحج وطي وكلب وتميم [٣] ومن المؤكد أن النصرانية سادت في الحيرة قبل القرن الرابع الميلادي [٤] . والى جانب هذه الجموع العربية العريقة في القدم كنا نرى في فجر تأريخها طوائف كثيرة من النبط [٥] ، وهم لا شك آراميون عنصراً ولغة ، ومما يؤيد تمازج العرب وهؤلاء الآراميين ما ورد في أمالي السيد المرتضى أن خالداً بن الوليد (رضي الله عنه) لما فتح الحيرة سأل عبد المسيح ابن بقيلة : أعرب أنتم أم نبط ؟ أجابه عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا [٦] وكان هناك أقلية فارسية [٧] وجالية يهودية [٨] ، إلا أن الأكثرية الساحقة

(١) معجم البلدان (مادة حيرة) .
(٢) لامنس (المعلمة الاسلامية مادة حيرة) .
(٣) معجم البلدان (مادة حيرة) .
(٤) النصرانية وآدابها لشيخو ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .
(٥) الاغاني ١٦ : ٥١
(٦) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ .
(٧) كلدو اثور الجزء ٢ : ٢٦٦
(٨) الطبري ٨ : ٢٤٨ .

من سكانها كانوا من العرب والآراميين (النبط) . وقد أطلق المؤرخون العرب اسم (نبط العراق) على بقايا البابليين والآراميين في العراق ، وهم الذين يتكلمون الآرامية [١] ؛ وسماها المؤرخون النصارى (بيث أرمايا) اي ديار الآراميين [٢] .

من هذا كله نستنتج أن اللغتين الآرامية والعربية تصافحتا في هذه المدينة أيضاً ، وحصل امتزاج بين سكانها المنتمين الى هاتين الامتين العريقتين ، الامر الذي يؤكد ابنا حتمية تأثر اللغتين احداهما بالأخرى ، إلا أن اللغة العربية على ما يظهر كانت لغة الأدب والدوائر الرسمية والى جانبها اللغة الآرامية في كثير من مرافق الحياة .

ومن المؤكد ان العلم والأدب كانا زاهرين في الحيرة إبان مجدها ، وقد ورد في المزهر للسيوطي أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة [٣] . وقد وردت نصوص تاريخية زاخرة تروي اخبار مدارس الحيرة منذ اقدم عصورها ، وحدثنا صاحب الأغاني أن المرقش الاكبر وهو ابو عمر الشيباني ، وأخاه حرملة ، درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة [٤] ، وقصة (صحيفة المتلمس) الشاعر الجاهلي مشهورة في الأدب العربي ولجهل الشاعر القراءة طلب الى صبي من اهل الحيرة قراءة الصحيفة المشؤومة [٥]

وكان الحيريون يدرسون اللغة العربية لكونها لغتهم العنصرية ، ويدرسون الآرامية السريانية وهي لغة طقوسهم الدينية وبها كانوا يعبرون شعائرهم الروحية

(١) مروج الذهب المسعودي ١ : ٨٥ .
(٢) السنهادوسات الشرقية ، طبعة شابو ص ٦٦٧ .
(٣) المزهر للسيوطي ٢ : ٢١٥ .
(٤) الاغاني ٥ : ١٨١ .
(٥) الاغاني ٢١ : ١٢٥

وهي أيضاً لغة قسم عظيم منهم يتكلمونها في بيوتهم ، وتخرج كثيرون من العلماء في الحيرة يتقنون اللغتين الشقيقتين أمثال حنين بن اسحاق العبادي الحيري ، مؤلف المعجم الآرامي الشهير ، ومترجم العلوم اليونانية الى الآرامية والعربية [1] والأسقف الحيري حناني يشوع مؤلف المعجم الآرامي العربي الذي استند عليه كثيرا ابن بهلول في معجمه الشهير [2] .

ومما لا شك فيه ان كنائس الحيرة وديورتها [3] الكثيرة العدد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلوم والآداب العربية والآرامية جنباً الى جنب بآن واحد ، لأن المعروف عن الديورة منذ فجر وجودها أنها معاهد لشتى العلوم والمعارف البشرية ، واذا استعرضنا قائمة خريجي هذه الديورة ورؤسائها على

---

(١) أخبار العلماء للقفطي ص ١٧٧ والفهرست ص ٤٠٩ .

(٢) راجع معجم ابن بهلول ودوفال ، الآداب السريانية ص ٣٨٦ .

(٣) ذكر الشابشتي في كتابه (الديارات) خمسة من ديورة الحيرة هي دير ابن مزعوق ص ١٤٨ ودير الحريق ص ١٤٨ ودير هند ص ١٠٧ وديارات الاساقف ص ١٥٢ وقبة الشنيق ص ١٥٥ (من طبعة بغداد بتحقيق الأديب الفاضل الأستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١) ، وأورد ياقوت الحموي عشرين ديراً من أديرة الحيرة مع شيء من أخبارها بما فيها الخمسة التي ذكرها الشابشتي ، إلا أن الكاتبين تجنبا على حرمة الديورة وقداسة الرهبانية في أخبارهما ، وديورة الحيرة التي ذكرها ياقوت هي : دير ابن براق ص ١٢٠ ، ودير ابن وضاح ص ١٢٠ ، ديارات الأساقف ص ١٢٢ ، دير الأسكون (الأصح : الاسكول) ص ١٢٣ ، ودير بني مرينا ص ١٢٧ ، دير الجرعة أو هو دير عبد المسيح ص ١٣٠ و ١٥٤ ، ودير الحريق ص ١٣٣ ، دير حنظلة ص ٣٥ ، دير حنة ص ١٣٥ ، دير الاكيراح ص ١٣٥ ، دير السوا ص ١٥٠ ، دير العذارى ص ١٥٧ ، دير اللج (زعم انه دير العذارى نفسه ص ١٥٨) ، دير علقمة ص ١٥٨ ، دير اللج ص ١٦٧ ، دير مارت مريم ص ١٦٨ ، دير مارفاثيون (الأصح بثيون) ص ١٦٩ ، دير الزعوق ص ١٧٧ ، دير هند الصغرى ص ١٨٢ ، دير هند الكبرى ص ١٨٣ (معجم البلدان الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٠٦ المجلد الرابع) .

الأخص نجدهم مزيجاً من العرب والآراميين اتحدوا اتحاداً كاملاً وساروا في طريق الدراسة والانتاج الأدبي جنباً الى جنب ، وهو ما هيأ جواً ملائماً لسير اللغتين الى هدف واحد ، ولا نرى حاجة الى ذكر خريجي هذه الأديرة جميعهم لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

هذا ما نجده من الاتصال بين اللغتين العربية والآرامية في مدينة الحيرة وضواحيها ، وهو كاف لتعاون اللغتين واستمداد إحداهما من الأخرى معنى ولفظاً وأسلوباً .

واذا ذكرنا تلاقي اللغتين العربية والآرامية في حيرة المناذرة اللخميين في العراق وفي ضواحيها ومدارسها وكنائسها وديورتها ، لا بد لنا أن نذكر الى جانب ذلك تلاقيها في قبائل أندادهم الغساسنة ، الذين ذهبوا صعداً في معارج المعارف الروحية والأدبية ، واهتموا ببناء الكنائس والديورة اكثر من المناذرة الأمر الذي يفيدنا فوائد عظمى في موضوعنا هذا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالغساسنة او الغسانيون قبائل عربية يمنية وهم بنو مازن من الأسد من خزاعة نزحت من منابتها في حادثة سيل العرم نحو سنة ١٢٠ م ، وسكنت أولاً في منطقة من حوران وبادية الشام [١] ، ونزلت على ماء بين زبيد وزمع يقال له (غسان) ، فمن شرب منه فهو (غساني) [٢] ، ولذلك سموا (الغساسنة) او (بني غسان) . وكانوا يدينون بالنصرانية [٣] ، وأسسوا لهم دولة عربية في هذه المنطقة ، وكانت عاصمتها (الجابية) في الجولان [٤] ، وامتدت دولتهم

(١) شرح مجاني الأدب م ١ ص ٥١٣ .
(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣١ .
(٣) حمزة الاصبهاني في مجاني الادب ج ٣ ص ٣١٢ .
(٤) المشرق م ٣ ص ٤٤١ .

بين دمشق وتدمر [١] ، ثم توسعت فامتدت من دمشق الى الرصافة على شاطىء الفرات [٢] .

والمنطقة التي سكنها الغساسنة في أول أمرهم كانت منطقة (باسان او باشان) المذكورة في أسفار العهد القديم [٣] ، وكان يحدها بادية سوريا شرقاً ، وغور الأردن غرباً ، وأراضي دمشق شمالاً ، وأرض جلعاد جنوباً [٤] ، وحسبما تدل المصادر الغربية أن اسمهم اشتق من اسم الماء (غسان) الذي نزلوا عليه . و (غسان) كما هو معلوم تسمية آرامية متحدرة من فعل « Gso » بمعنى فاض نبع ، تدفق [٥] ، ومن الراهن أن هذه القبائل العربية امتزجت ببقايا الآراميين الضاربين في هذه الربوع منذ أقدم العصور ، وأن منهم كانت ممالك البتراء وتدمر والممالك الآرامية القدمى في دمشق وما جاورها من المناطق السورية المجوفة وما يحيط بها [٦] . ولما كانوا يدينون بالنصرانية كما علمنا ، ويتفقون هم ونصارى هذه البلاد بالعقيدة والطقوس الكنسية ، استمروا ينمون متحدين مع الآراميين سكان البلاد القدماء ويتبادلون اللغة والمذهب الديني على ما هو معلوم لدينا ، ومما لا ريب فيه أن سكان هذه المناطق من النصارى كانوا يجرون طقوسهم الدينية باللغة الآرامية ، سواء كانوا عرباً او آراميين ، حتى الخارجين على الكنيسة السريانية انفسهم [٧] . ومما يزيد في تأصل العلاقات واستمرارها

---

(١) نه ص ٢٧٣ .
(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس م ٥ ص ٢٠٦ - ٢٦٨ سنة ١٩٣٨ .
(٣) سفر العدد . الاصحاح ٢١ العدد ٣٣ .
(٤) سفر يشوع . الاصحاح ١٣ العدد ٣٠ . وسفر المزامير ٢١ : ١٣ و ٦٧ : ١٦ .
(٥) قاموس منا السرياني العربي ص ١١٧ وقاموس اودو السرياني (الفعل نفسه) .
(٦) تاريخ لبنان للارتين ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .
(٧) اللمعة الشهية . ليوسف داود ص ٦٨ وتقرير البطريرك مكاريوس الثالث الملكي (١٦٤٧ - ١٦٧٢) . ودليل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الأهلية رقم ٢٢٤ .

بين العرب الغساسنة والسريان الآراميين وحدتهم الكنيسة واستعمالهم اللغتين العربية والآرامية السريانية جنباً الى جنب في سائر مرافق حياتهم الدينية والدنيوية ومما لاريب فيه أن هؤلاء العرب كانوا يتكلمون العربية في بيوتهم، ويستعملون الآرامية في شعائر عبادتهم، ولم يعدموا أقواماً منهم كانوا يتكلمون لغتهم الآرامية الأصلية في بيوتهم، ويخاطبون اخوانهم العرب ومواطنيهم بالعربية، وهو ما يجمع بين اللغتين في صعيد واحد. وأمامنا ثلاثة أمور هامة تؤيد امتزاج العرب بالسريان الآراميين وهي :

اولاً — سلاسل الاساقفة الذين تولوا أمور الغساسنة الروحية في مختلف عصورهم. وقد أوردها المؤرخون السريان وعلى الأخص المؤرخ ميخائيل الكبير فانا نجد هؤلاء الأساقفة عربياً من العرب في جميع الأبرشيات الغسانية، فتيودور رفيق يعقوب البرادعي مثلاً كان عربياً خالصاً [1]. وقد رسم، بناء على طلب الحارث بن جبلة الغساني، مع البرادعي نفسه برعاية الملكة تيودورة [2] وكانت ولايته الروحية تشمل بلاد اليمن والمغرب والأقطار العربية وفلسطين وأورشليم [3]، وكان كرسيه في مدينة بصرى، وذكر التاريخ غيره من الأساقفة المنحدرين من محتد عربي أمثال (بطرس أسقف العرب) و (فالغ أسقف قبيلة منذر) و (توما أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف حوّارين) [4].

(١) أخبار يوحنا أسقف آسيا خبر ٤٩ ص ٦٩٠ طبعة لاند .
(٢) فيه خبر ٢ ص ٣٧٠ .
(٣) فيه ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٧٠ .
(٤) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ — ٣١٠ وتاريخ البطاركة لابن العبري في ترجمة البطريركين سرجيس التلي وخلفه بولس .

وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير كثيرين من أساقفة هؤلاء العرب في سلاسله التاريخية في مختلف أبرشياتهم في درعا، وميتونيا حوران، والرصافة، والرقة وغيرها [١] . ومن تعداد أسماء هؤلاء الأساقفة ومواطن تخرجهم تتأكد أن بعضهم كانوا عرباً خلصاً والبعض الآخر كانوا آراميين أقحاحا . ولا نرى حاجة الى ذكر أسمائهم هنا لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

ثانياً — ثبت الديورة الكثيرة التي أسسها او اعاد أيام مجدها ملوك العرب الغساسنة في بواديهم وحواضرهم، ومعظم أسماء هذه الديورة عربية كدير (العرب) ودير (طي) ودير (الجن) ودير (عمر) ودير (هند) و (دير جفنة) و (دير العقبة) و (دير الزنبق) و (دير البرج) و (دير عقرب) و (دير القبان) و (دير اللوز) وغيرها وغيرها [٢] .

وكانت هذه الديورة رباطاً للعلم والفضيلة عصوراً طويلة احتوت بين جدرانها رهباناً وطلاباً للعلم والمعرفة من العرب والآراميين جنباً الى جنب، ارتشفوا العلوم على مقاعد مدرسية واحدة، ونشدوا الأدب باللغتين العربية والآرامية معاً، وتسقف كثيرون منهم في جميع الأبرشيات العربية الآرامية التي ذكرناها وفي غيرها من الأبرشيات السريانية الواسعة النطاق في تلك العصور، وفي ديورتها الكثيرة، وكنائسها المنتشرة في كل مدينة وقرية من مدن سورية وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها .

ثالثاً — دفاع الملوك الغساسنة العرب عن الايمان الأرثوذكسي العريق بكل ما أوتوا من نفوذ وسؤدد وقوة، ونفورهم من الذين كانوا يضطهدونهم في مملكة بيزنطية، وقد روى المؤرخون وعلى الأخص يوحنا أسقف آسيا بطولتهم المنقطعة النظير في هذا الميدان، وأهم ذلك الحملة التي جردها المنذر

(١) سلاسل الاساقفة في نهاية تاريخ ميخائيل الكبير .
(٢) فيه ص ٨ والمشرق م ١ ص ٦٣ سنة ١٨٩٨ وفيه م ١٠ ص ٥٢٣ سنة ١٩٠٧ .

ملك الغساسنة على بلاد الروم منتقماً منهم أعظم انتقام [١] ، واهتمام ملوك غسان بأمر سلام الكنيسة السريانية ونجاحها [٢] ، ورفضهم الميل الى مضطهديها [٣] .

ولم تكتف الكنيسة السريانية بخدمتها العرب الغساسنة المتحضرين ، بل بالغت في خدمة سائر العرب المسيحيين الرحل ، فأنشأت لهم طقوساً خاصة بالسريانية والعربية ، وترجمت لهم الانجيل الى العربية ، وأعطت أولادهم جميع التعاليم باللغتين العربية والسريانية ، مما يؤيد اتحاد العرب بأخوانهم السريان منذ أقدم عصور المسيحية ، وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير أساقفة كثيرين سمى كلا منهم (أسقف العرب) ، وكان هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع القبائل العربية النصرانية في فلواتها ، ويقيمون لهم الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وكانوا يخدمون (القداس) مترجماً الى اللغة العربية عن أصله السرياني [٤] .

وبعد انقراض الدولة الغسانية ظل العرب الغساسنة متحدين بالكنيسة السريانية ومخاصين لها أشد الاخلاص ، وآثروا السكنى في المدن والحواضر والقرى في بلاد سورية ، ونزح بعضهم الى العراق وبلاد أثور [٥] ، وحدثنا عنهم العلامة ابن العبري قال : « ظل الغساسنة من ذلك الحين حتى اليوم ــ القرن الثالث عشر ــ متمسكين بعقيدة الطبيعة الواحدة ولا سيما في الحديثة وفي بلاد باعربايا (المنطقة الممتدة بين الموصل وسنجار ونصيبين) وفي القريتين والنبك وسائر أطرافها » [٦] .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٤٨ .
(٢) تاريخ البطاركة لابن العبري ترجمة البطريرك قولا .
(٣) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٨٢ .
(٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . شيخو القسم ٢ ص ٤١٤ .
(٥) تاريخ يوحنا اسقف آسيا م ٣ ص ١٨٢ طبعة باريس .
(٦) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص ٨٩ .

الايلاف

أو

المعونات غير المشروطة

كان أستاذنا العلامة المرحوم سليم الجندي أول من نبّه أذهان هذا الجيل قبل ثلاثين عاماً الى أن العصر الجاهلي ، انما سمي كذلك ، من الجهل ضد الحلم ، لا من الجهل ضد العلم ، وكان الطلاب الى أن يسمعوا دروس العلامة الجندي قد وَقَر في أذهانهم ، من كتب التاريخ الاسلامي المدرسية ، ومما تلقفوا عن أساتذتهم أن العصر الجاهلي كان عصر البداوة والفطرة ، لم تزينه آثار الحضارة ، ولا معالم المدنية ، ولم يعرف أهلوه من العلوم الا ما دعت حياة الصحراء لمعرفته .

كان استاذنا الجندي يبدأ دروسه في تاريخ الأدب العربي بالتأكيد على نظريته هذه ، لأن الكتاب الأوحد الذي كان يستعين به الطلاب يومئذ وهو « الوسيط في تاريخ الأدب العربي » قد تضمن ما يشبه هذا المذهب الذي كان يفنده ، اذ تعرض لبحث أغراض اللغة في العصر الجاهلي ، فأشار الى أن أغراضها لم تَعْدُ ما تقتضيه حياة البداوة والفطرة .

وكان العلامة الجندي يدلل على نظريته هذه بأدلة كثيرة أذكر منها :

١ — ان اشتقاق لفظ « الجاهلية » من الجهل ضد الحلم قد ورد في بيت جاهلي شهير :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

٢ — أن لفظ « الجاهلية » لم يقترن على لسان أكثر الأئمة الا بألفاظ

« الحمية » و « العصبية » الخ .... فقالوا : عصبية الجاهلية ، وحمية الجاهلية [1]

٣ — أن اللغة العربية ، قد بلغت أوجها من النضج والاكتمال ، حين نزول القرآن الكريم بها . واللغة هي العنوان الأوضح على حضارة الأمة ورقيها ومدنيتها ، لأنها هي وسيلة التعبير عن مظاهر الحياة العقلية والارادية والعاطفية [2] ولغة العرب التي وعتها الدواوين والمعاجم ، والنصوص الثابتة القطعية ، تدل مفرداتها على أن العرب في جاهليتهم ، لم يكونوا قوما جهلاء ، وانما كانوا قوما قد بلغوا من العلم والعرفان مبلغا تحسدهم عليه أكثر الأمم المعاصرة .

واذكر ان العلامة الجندي قد مضى في التدليل على نظريته هذه ، فأورد من الأمثلة والشواهد ، ما لا يدع قولا لقائل :

فمنها — أنه وجد أن العرب قد وضعوا أربعين لفظة مختلفة المعاني لثمرة « العنب » منذ أن يبدأ زهرة الى أن يصبح زبيبا . وهذا يدل على التتبع العلمي والاستقصاء ، ومراقبة النبات وثمره وزهره وما بينها .

ومنها — أن العرب لم يدعوا في التشريح صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها ووضعوا أسماء لجميع المسميات .

وقد كشف عن هذا الجهد العلمي الرائع أساتذة كلية الطب في جامعة

(١) ورد هذا المعنى في حديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢١٣٤ ، رقم ٥٦ (طبعة الحلبي) إذ جاء به على لسان السيدة عائشة : « سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحاً ، ولكن أجتهلته الحمية » أي استخفته وأغضبته وحملته على الجهل .

(٢) قال ابن سيده في المخصص ، ج ١ ، ص ٦ : « حدُّ اللغة أنها اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وهذا حدٌّ دائرٌ على محدوده ، محيط به لا يلحقه خلل ، اذ كل صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس لغة . وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس .

وقال مثله ابن جني في الخصائص ، ج ١ ص ٣٣ ، طبعة دار الكتب : « أما حد اللغة فانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » .

دمشق منذ انشائها حتى اليوم ، وكان لهم في ذلك فضل عظيم على اللغة العلمية في العصر الحديث .

ومنها — أنهم قد عرفوا من علم الفلك ما عرف معاصروهم ، ولا أدل على ذلك من أن أسماء أكثر السيارات ، وبعض المجموعات الفلكية قد وضع في الجاهلية .

وقل مثل ذلك في أكثر العلوم الأخرى .

هذا فضلا عن أن الحجة القاطعة هي القرآن الكريم ، ونصه ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد جاءت آياته المحكمات ، دليلا قاطعا على أن اللغة العربية ، التي نزل بها كتاب الله ، كانت أيام البعثة ، قادرة على التعبير عن كل مرافق الحياة :

١ — ففيها قصص التاريخ على أروع صورة ، وأبلغ أسلوب ، تحكي قصص الأمم الغابرة ، وكأنها موسيقى تتدفق الى النفس ، فتعلق بها ، من عمق أثرها عليها .

٢ — وفيها تصوير للحياة العاطفية ، يعبر عن أعمق المعاني الانسانية الخالدة .

٣ — وفيها تفصيل لحياة الأسرة ، ونظامها الاجتماعي ، حتى كأنه بناء كامل للنواة الأولى للأمة .

٤ — وفيها تشريع لأنظمة الدولة في الحقوق العامة والخاصة .

٥ — وفيها ترغيب يدفع الى الخير ، في أحلى أشكاله ، وأروع صوره .

٦ — وفيها ترهيب يمنع من الشر ، ويحذر من مغابّه وآثامه .

٧ — وفيها كل ما يلزم للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة في الدنيا والآخرة (ما فرطنا في الكتاب من شيء) صدق الله العظيم .

والواقع الذي لا خلاف فيه ، أن لغة العرب ، قد أصبحت من اللغات الحية ،

في عصر النبوة ، نظمت ألفاظها وصنّفت وفرّق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية ، واكتسبت صفة الحياة الدائمة ، بمعنى أنها أضحت قابلة للتطور ، بعيدة عن الجمود تستطيع أن تساير رقي المجتمع العربي والاسلامي ، دون أن يصيبها العجز عن مسايرة الحاجات . وبقيت اللغة العربية كذلك خلال أربعة عشر قرنا ، أعانها على البقاء والصمود ، رغم التيارات السياسية المعدبدة ، قدرتها على الاشتقاق والنحت والوضع والتعريب وغير ذلك مما توفر على الاشتغال به أئمة اللغة والدين خلال هذه القرون الطويلة .

ولقد كانت مصطلحات الحقوق الدولية العامة والخاصة ، في جملة ما شغل علماء القانون ، منذ أن أسست كليات الحقوق في العالم العربي . وما من شك في أن كلية دمشق أكثر هذه الكليات جهدا ، بما بذل أساتذتها ، حين تصدوا للتأليف ، في البحث عن الألفاظ العربية القديمة ، وامكان مطابقتها للمفاهيم الحديثة ، وما زالت المجامع العلمية ، والمؤلفون في كليات الحقوق ، والعلماء ، وأصحاب الاختصاص ما زال هؤلاء جميعا يبحثون ، ويدرسون ، ويبذلون الجهد الصادق في البحث عن المصطلحات الحديثة التي تبدعها الحوادث السياسية ، في ميدان الحقوق الدولية العامة كل يوم .

من هذه المفاهيم الحديثة ، التي نسمعها في كل يوم على لسان رجال السياسة تعبير قالوا انه : « المساعدات غير المشروطة » ويعنون بها مساعدة الدول الكبرى للصغرى ، دون أن يكون لهذه المساعدة مساس بحرية الدول الصغرى أو بسيادتها واستقلالها .

وكأني بالعرب في جاهليتهم ، قبل الاسلام ، قد عرفوا هذا النوع من العقود ، فسموه « إيلافاً » ونزلت به السورة الكريمة المعروفة :

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ . رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

وقد تتبعت بحث « الايلاف » في كتب التفسير ، وكتب اللغة وكتب الأدب ، وفي السطور التالية خلاصة لهذا البحث :

١ ـ الايلاف في كتب التفسير

آ ـ ففي تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٧٠ عن مجاهد : ايلاف قريش : نعمتي على قريش .

ب ـ وفي تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٣٠٥ : عن محمد بن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد : أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقيل : المراد ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف الى الشام .

ج ـ وفي تفسير البغوي ج ٩ ص ٣٠٦ : قال عطاء عن ابن عباس : كانت قريش في ضُرّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني ، حتى كان فقيرهم كغنيهم !

ولم أجد بين المفسرين المشهورين من أشار الى تفسير الايلاف بمعنى : « الأمان من غير حلف » .

٢ ـ الايلاف في كتب اللغة :

آ ـ في القاموس : والايلاف في التنزيل العهد ، وشبه الاجازة بالخفارة . وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين

في امتيارهم وتنقلاتهم ، شتاء وصيفا ، والناس يتخطفون من حولهم ، فاذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد . أو اللام للتعجب أى : اعجبوا لايلاف قريش . وكان هاشم يؤلف الى الشام .... وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الأمصار بحبال هذه الاخوة ، فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له .

ب — وفي التاج : عن ابن عرفة : الايلاف : انما هو العهود التي كانوا يأخذونها اذا خرجوا في التجارات ، فيأمنون بها .

وفيه : الايلاف : من يؤلفون ، أي يهيئون ويجهزون .

ج — وفي اللسان : الايلاف الاستجارة ـ العهد والذمام ـ الجمع بين الرحلتين .

د — وفي النهاية ج ١ ص ٤٨ الايلاف : العهد والذمام كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش .

د — وفي الفائق الزمخشري ج ١ ص ٤٠ : لقد علمت قريش أن أول من أخذ لها الايلاف وأجاز لها الميرات لهاشم .

وفيه : الايلاف : الحبل . أي : العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قيصر وأشراف أحياء العرب لقومه بأن لا يتعرض لهم في مجتازاتهم ومسالكهم في رحلتهم . وهو مصدر من آلفه ، بمعنى ألفه . لأن في العهد ألفة واجتماع كلمة .

وهكذا نرى أيضا أن كتب اللغة لم تشر الى المعنى المقصود من « الايلاف »

٣ ـ الايلاف في كتب الأدب :

ورد حديث الايلاف في كثير من كتب الأدب والتاريخ ، وسنقتصر على مقارنة ثلاثة منها ، هي في نظرنا أهمها وأجدرها بالبحث :

آ — أبو علي القالي :

في الصفحة ١٩٩ من كتاب النوادر (طبعة دار الكتب) ١٩٢٦ لأبي علي القالي النص التالي :

« قال أبو علي : حدثنا ..... العتبي ومحمد بن سلام ، كلاهما قال : كانت قريش تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، أنما تقدم عليها الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعونها على من حولهم من العرب . فكانوا كذلك ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ، ويجمع من حوله فيأكلون . وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم ، فذُكر لقيصر فقيل له : ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ـ وانما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز ـ فدعا به قيصر ، فلما رآه أعجب به فكان يبعث اليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحادثه فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك ! ان قومي تجار العرب ، فان رأيت لي كتابا تؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فتباع عندكم ، فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاب أمان لن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بحي من العرب بطريق الشام ، أخذ من أشرافهم ايلافا ـ والايلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، انما هو أمان الطريق ـ وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع فيكفونهم حملانها ، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم وربحهم . فأصلح هاشم بذلك الايلاف بينهم وبين أهل الشام ، حتى قدم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يجوّزهم ويوفيهم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب ، حتى أوردهم الشام ، وأحلهم قراها ، ومات في ذلك السفر بغزة . وخرج المطلب ابن عبد مناف الى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ؟ لمن تجر اليهم من قريش ، وأخذ الايلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحبشة ، فأخذ ايلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون . وخرج نوفل بن عبد مناف ، وكان أصغر ولد أبيه ، وأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وايلافا ممن مر به من العرب ، ثم تقدم مكة ورجع الى العراق ، فمات بسلمان . واتسعت تجارة قريش في التجارة في الجاهلية ، وكثرت أموالها .... »

والواضح من هذا النص أن « الايلاف » كان بين العرب أنفسهم ، لا بين العرب ومن جاورهم من الأمم . وقد فرّق صاحبا الحديث ـ العقبي وابن سلام ـ بين الاتفاقات التي جرت بين العرب بعضهم بعضا فسمياها « ايلافا » ، وبين الاتفاقات التي جرت بين العرب وقيصر وملوك اليمن والحبشة وكسرى ، فسمياها « عهدا » .

وأما مضمون « العهد » فلا يتعدى الأمان ، على ما في هذا الحديث ، وان كان مفهومه اللغوي والاصطلاحي أعم وأشمل .

وأما « الايلاف » فهو الأمان بغير حلف ، وانما يترتب على تجار قريش أن يحملوا بضائع مَنْ في طريقهم من الأحياء والقبائل ، فيتجروا بها ، وفي عودتهم يؤدون اليهم ـ أي الى من في طريقهم ـ رؤوس أموالهم وربحهم .

ب ـ ابن حبيب في المنمق

نقل الأستاذ محمد حميد الله نصاً مشابهاً عن كتاب المنمق لابن حبيب المخطوط (١) وها نحن أولاء نورد الفقرة التي فيها بعض الخلاف مما يمس موضوعنا :

« قال هاشم : أيها الملك : ان لي قوما ، وهم تجار العرب . فان رأيت أن تكتب لهم كتابا تؤمنهم ، وتؤمن تجاراتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فيكونوا يبيعونه عندكم ، فهو أرخص عليكم .

(١) راجع :
Melange Louis Massignon, P. 309
طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٧ .

فكتب له كتابا بأمان من أتى منهم من أشرافهم ايلافا · فايلافا (؟ فالايلاف) ان يامنوا عندهم في أرضهم بغير حلف عليهم · وانما هو أمان الناس · وعلى أن قريشا تحمل لهم بضائعهم فيكفونهم حملانها ، ويردون اليهم رأس مالهم وربحهم فهذا الايلاف بمن بينه وبين الشام » ·

« وخرج هاشم يجوزهم ويوفيهم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب »

« وخرج المطلب الى اليمن ··· ثم أقبل يأخذ الايلاف بمن مر به العرب

« وخرج عبد شمس ··· ثم أخذ الايلاف بمن بينه وبين العرب · »

« وخرج نوفل ··· ثم أقبل يأخذ الايلاف بمن يمر به من العرب ·

أما بقية النص ، فالخلاف فيه يسير ، والمحدث فيه ابن الكلبي ·

والمفهوم من هذا النص أن « الايلاف » يشمل أمان الأعاجم والعرب للقرشيين على السواء ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج — ابن ابي الحديد في شرح النهج

حدث ابن أبي الحديد في الجزء الثالث ص ٤٥٨ من شرح نهج البلاغة رواية الزبير ، عن محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله بن عباس :

« والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الايلاف وأجاز لها العيرات لهاشم ···· وكان من أحسن الناس خلقا وتماما ، فذُكر لقيصر ، فلما رآه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر ، وأن يكتب لهم كتب الأمان فيا بينهم وبينه ففعل ···

هذه هي أهم النصوص الموجودة في كتب الأدب حول موضوع « الايلاف » ومن مقارنتها يتبين :

١ — أن القالي قد جزم نقلا عن العتبي ومحمد بن سلام بأن الايلاف هو الأمان بغير حلف وأنه عهد وقع بين القرشيين وقبائل العرب التي كان القرشيون يمرون بها ، كان من مقتضاه أن يحمل القرشيون بضائع من يمرون بهم ، وأن يتاجروا بها ، وأن يردوا اليهم رأس مالها وربحها .

ومن الضروري في بحثنا أن نعرف ماذا عنى هؤلاء الرواة من لفظ « حلف » فأما المعاجم فانها لا تفيدنا في هذا الموضوع ، بل تزيد البحث تشويشاً ، اذ أن الحلف هو العهد ، أو الأمان من الغدر ، ولا يمكن أن يكون لهذين المفهومين في بحثنا من موضع التطبيق .

والذي يتبادر الذهن استنتاجا من سياق الحديث أن المراد بلفظ « حلف » هو ما نسميه اليوم بلغة الحقوق الدولية العامة « الالتزامات » . بمعنى أن القرشيين قد نالوا أمان الطريق ، دون أن يكون لهذا الأمان مقابل في حرياتهم أو أموالهم ، أو حقهم المطلق في التصرف بشؤونهم . وبكلمة جامعة : دون أن يكون هنالك ما يُنقص من حقوقهم .

أما التعهد بالاتجار بأموال القبائل ، ورد رأس المال مع الأرباح ، فهو وان كان في الواقع التزاما ، الا أنه يدل من جهةٍ على الثقة بأمانة القرشيين ، كما يدل من جهة أخرى على أنه لم يكن بعد في ذلك العصر انتقاصاً للحرية .

٢ — إن ابن حبيب وهو أقدم من القالي ، قد عرَّف « الايلاف » نقلا عن ابن الكلبي بأنه الأمان من العرب والأعاجم ، وان كان قد عاد فأكد انه أمان من العرب وحدهم .

وفي رأينا أن النص الذي أورده ابن حبيب في المنمق مشوش ، ولعل يد النساخ قد امتدت الى تحريفه ، أو أن ذاكرة راويه قد قصَّرت في حفظه ، لأنه يكاد يكون متطابقا مع نص القالي الا في هذا الموضع . ونرى أن

نص القالي أكثر انسجاماً ، واصح لغة ، وأقرب لمنطق الحديث . ولهذا فاننا نرجح أنه أقرب الى الصواب من نص ابن حبيب .

حـ – اما نص ابن أبي الحديد ، فانه أخصر من النصين السابقين ، ولم يرد فيه لفظ الايلاف « إلا في مطلعه » ، واقتصر في خاتمته على لفظ « الأمان » . وهو في روحه ، وكثير من ألفاظه لا يخرج عن النصين السابقين .

د – الأفغاني في أسواق العرب

ان أول من تناول موضوع « الايلاف » ببحث علمي مطول على ما نعلم هو الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني في كتابه أسواق العرب (ص ١٢٣ وما بعدها) المطبوع في دمشق ١٩٣٧ .

وقد استشهد الأستاذ الأفغاني بكثير من النصوص ، وأقوال أئمة اللغة ، الا أنه أهمل أقوال الأئمة من المفسرين ، وجنح الى تسمية الايلاف بلغة عصرنا (المعاهدات التجارية) .

وما من شك في أن الغرض من الايلاف تجاري ، أو أنه يؤدي الى ضمان حرية تنقل القوافل التجارية ، ولكنه لا يمكن أن يسمى (المعاهدات التجارية) ، لأن هذه تقتضي اتفاقاً على تبادل السلع ، وطريقة دفع قيمها ، أو مكوسها (جماركها) أو غير ذلك . أما أمان الطريق بغير حلف ، فلا يمكن أن يسمى بلغة العصر إلا « المساعدات غير المشروطة » Aides inconditionnés .

هـ – حميد الله في مختارات ماسينيون

الأستاذ محمد حميد الله ، عالم هندي فاضل ، له آثار معروفة . عقد فصلاً باللغة الفرنسية في الكتاب الذي نشره المعهد الفرنسي بدمشق تحت عنوان « مختارات لويس ماسينيون » عام ١٩٥٧ ج ٢ ص ٢٩٣ وما بعدها ، سماه :

الإيلاف أو العلاقات الاقتصادية — السياسية في مكة قبل الإسلام .

Les rapports économico - politiques de la Mecque pré - islamique.

تضمن هذا الفصل دراسة جيدة عن الإيلاف ، انتهى بها واضعها الى أن الوحدة الاقتصادية التي قامت قبل الإسلام بفعل التقاليد الجاهلية القديمة ، كالأشهر الحرم ، والبَسْل ، والأسواق الدورية الدائمة ، والإيلاف ، قد مهدت للوحدة السياسية التي حققها الرسول الأعظم ﷺ . وفكرة الأستاذ حميد الله هذه ، وان لم تكن من الأفكار المبتكرة ، إلا أنه أحسن عرضها وتنسيقها على شكل تكاد تبدو معه على القارئ العربي جديدة .

وقد اعتقد الأستاذ حميد الله بأن النص الذي نقله ابن حبيب في المنمق عن ابن الكلبي نص جديد ، ولم يسمع به أحد من قبل ، فقال : «ولما كان كتاب المنمق لابن حبيب لم يطبع حتى الآن ، ولا في متناول العلماء بسهولة ، فاننا نعتقد أنه من المفيد أن ننشر منه فصلين بنصها ، أشرنا اليها سابقاً (وأورد النصين) .

وقد سبق أن بينا أن أحد النصين معروف لدى جميع المشتغلين بالأدب ، لأنه ورد في أحد كتب الاربعة الشهيرة ، ونعني به أمالي القالي ، المطبوع في عام ١٩٢٦ ، والذي لم تخل منه مكتبة عامة في القديم ولا في الحديث ، وازدانت به أكثر المكتبات الخاصة . ودراسة الأستاذ حميد الله ، بعد ، جديرة بأن تنقل الى لغة العرب ، لأنها رائعة حقاً في أسلوبها وعمقها وتفكير صاحبها وكم أتمنى أن أجد فراغاً من وقتي لأقوم بهذه الخدمة العلمية .

الخاتمة

وبعد فقد استلهمنا هذا البحث من روح أستاذنا العلامة سليم الجندي رحمه الله . وفي يقيننا أننا أضفنا دليلاً جديداً الى نظريته ، وبرهنا فيه أن لغتنا العربية ، لم تكن ضيقة الآفاق في القرن الرابع والخامس الميلادي ، بل اتسعت لمعان لم تعرف إلا في القرن العشرين ، وفي ميدان الحقوق الدولية العامة ، وهو من أضيق الميادين ، واستعارة اللغات الأوربية لمصطلحاته بعضها من بعض معروف ومشهور .

ونختم هذا البحث باقتراح اطلاق لفظ الإيلاف على المساعدات غير المشروطة Aides inconditionnées التي أصبحت مبدءاً أساسياً تنادي به الأمم الصغيرة ، حفاظاً على حريتها وسيادتها .

ظافر القاسمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »[1]

(١)

حياة الزجاجي

نسبه :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، ويقف نسبه عند أبيه فلا يذكر أحد شيئاً عنه بعد ذلك على كثرة الذين ترجموا له ، ولعل لأصله الفارسي أثراً في ذلك إذ لو كان عربياً لما ضاع عنا نسبه نظراً لما عرف عن العرب من العناية بالأنساب ، وعلى كلٍ فان ضياع معالم النسب أمر نلاحظه عند كثير ممن لم يَشْهرهم نسبهم أو ترفعهم أسرهم ، وانما سَمَوا بأنفسهم وشَهَرتهم أعمالهم . والزجاجي واحد من هؤلاء ، حتى إنه لم ينسب الى اسرته وإنما نسب الى أستاذه ابراهيم بن السريّ الزجاج فعُرف به .

ولد ابو القاسم بنهاوند ـ جنوبي همذان ـ وقيل في الصَيمَرة ، وهي في جنوب همذان أيضاً ، ولذلك نسبوه الى نهاوند ، قال ابن خلكان : « هو البغدادي داراً ونشأة ، النهاوندى اصلاً ومولداً [2] . » ونسبوه إلى الصيمرة

(١) بحث مفصل في حياة أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ ﻫ ووصف مؤلفاته ، وعرض لكتابه « الإيضاح في علل النحو » ومذهبه النحوي فيه .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٤٩

كما ذكر السيوطي [١]، وجمع القفطي النسبتين فقال « هو نهاوندي من اهل الصيمرة [٢] . »

نشأته :

وتدل سيرة الزجاجي على أنه كان محباً للعلم بكثير السعي والرحلة في سبيله فقد غادر مسقط رأسه الى العراق، واستقر في بغداد ونشأ فيها، ثم غادرها إلى الشام فأقام مدة بحلب، وانتقل بعد ذلك الى دمشق فدرّس فيها وأفاد، وقيل إنه خرج بعد ذلك الى طبرية ومات فيها .

وكانت حياة أبي القاسم حركة دائمة وعملاً متصلاً، فهو ـ حيثما يقم ـ تلميذ متطلّع مستفيد أو معلم يجلس للدرس والإملاء، وذلك ما تؤيده صلته الشديدة المستمرة بشيوخه وتلاميذه .

وأجمع الذين تحدثوا عن الزجاجي أنه كان ورعاً تقياً، وقالوا في تأليفه كتاب الجمل إنه ألفه بمكة وكان لا يضع باباً منه أو مسألة من مسائله إلا وهو على طهارة، فاذا انتهى من وضعه طاف به حول الكعبة أسبوعاً [٣] يدعو الله أن ينفع به ... وذكر بعضهم أنه كان متشيعاً وكان محباً للنظافة معنياً بهيأته، حسن الشارة مليح البزّة [٤] »

وكان ثقة يؤخذ عنه الحديث ويتردد اسمه في الأسانيد . قال الحافظ ابن عساكر « وحدّث عن جماعة واسند حديثاً كثيراً [٥] » . وروى ابن عساكر أخباراً كثيرة كان للزجاجي في أسانيدها نصيب كبير [٦] .

(١) بغية الوعاة : ٢٩٧
(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠
(٣) أي سبع مرّات
(٤) مخطوطة إشارة التعيين . الورقة : ٢٦
(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣
(٦) المصدر السابق ٩ : ٤٣٢

وفاته :

وأما وفاته فكانت على الأرجح في سنة ٣٣٧ هـ في طبرية . وكان ابو بكر الزبيدي [١] أقدم من ذكر هذا التاريخ ممن ترجموا الزجاجي ، ورجحه ابن خلكان وقال هو الأصح [٢] وزعم ابن تغري بردي أن وفاته كانت سنة ٣٣٩ [٣] وتردد ابن الأثير بين هذين التاريخين [٤] وجزم القفطي [٥] وابن العماد الحنبلي [٦] وابن شاكر الكتبي [٧] واليمني [٨] ان وفاة الزجاجي كانت في سنة ٣٤٠ وأيدهم في ذلك ابن عساكر فقال « أخبرنا ابو محمد بن الاكفاني : أخبرنا عبد العزيز بن احمد قال : توفي ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النحوي بطبرية في شهر رمضان من سنة سنة اربعين وثلاثمائة » ثم قال « ورأيت في كتاب عتيق : مات ابو القاسم الزجاجي بالشام بطبرية في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . قال ابن الاكفاني : وهو خطأ [٩] »

وهكذا ينحصر اختلافهم في تاريخ وفاته بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٠ وهو أمر يسير لا يترتب عليه شيء ذو بال وأياً كانت سنة وفاة الزجاجي فهو قد عاصر من خلفاء العباسيين المقتدر وابن المعتز والقاهر بالله والراضي والمتقي والمستكفي ومات في خلافة المطيع حين كانت مقاليد الحكم بيد بني بويه .

(١) طبقات النحويين والنحاة : ١٢٩
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٨٩
(٣) النجوم الزاهرة ٣ : ٣٠٢
(٤) الكامل ٨ : ١٩٤
(٥) انباه الرواة ٢ : ١٦٠
(٦) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧
(٧) عيون التواريخ
(٨) اشارة التعيين
(٩) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اساتذته :

حب الزجاجي للعلم جمله يكثر الأخذ عن شيوخ العلم وأربابه حتى بلغ الذين اخذ عنهم عشرين أستاذاً ، وكأنه أحب ان يجمع ما يستطيع من ثقافة عصره فما نزل بلداً إلا تلقى على مشايخه واخذ عن أساتذته ولو كانوا ذوي آراء متعددة ومذاهب مختلفة ، وكان اثر هذا الاختلاف والتعدد جلياً واضحاً في ثقافته وآرائه .

في طليعة أساتذته من غير شك ذلك الأستاذ الذي لازمه ابو القاسم حتى نسب إليه وعُرف به وهو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ وقد عدّه الزجاجي في مقدمة الذين ذكرهم من أساتذته وشيوخه حين تحدث عنهم فقال :

« فمن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج رحمه الله . وابو جعفر محمد بن رستم الطبري غلام ابي عثمان المازني وابو الحسن بن كيسان ، وابو بكر احمد بن الحسين بن العبّاس المعروف بابن شقير ، وابو بكر محمد بن احمد بن منصور المعروف بابن الخياط ، وابو بكر ابن السرّاج ، وابو الحسن علي بن سليمان الأخفش »

ثم قال « .... وابو بكر بن الأنباري ، وابو موسى المعروف بالحامض وكان الأغلب عليه علم اللغة إلا أنا قد اخذنا عنه حكايات يسيرة ، وابو الفضل الملقب بزبيل وابو محمد عبد الملك بن مالك الضرير وغير هؤلاء ممن لم يُشهر من الكوفيين [١] . »

وذكر الذين تحدثوا عن الزجاجي أنه أخذ عن علماء آخرين وكان ممن أخذ عنهم أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣

(١) الإيضاح : باب المستحق للاعراب من الأسماء والأفعال والحروف .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وأبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٦ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ وابو عبد الرحمن عبد الله بن هانىء النيسابوري وأبو العلاء احمد بن عبيد الله ابن الحسن بن شقير البغدادي وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٣٢٢ وابو العباس احمد بن عبيد الله بن عمّار الثقفي المتوفى سنة ٣١٤ وابو القاسم جعفر بن قدامة الكاتب المتوفى سنة ٣١٩ .

وزاد ابن عساكر على هؤلاء أستاذين آخرين ، هما أبو عبد الله الحسين بن محمد الرازي وأبو علي الحسن بن علي العنزي [1] .

هؤلاء هم الأعلام الذين أخذ الزجاجي عنهم وتخرّج على أيديهم ولا بدّ من الإشارة إلى أنه كان منهم البصريون كما كان منهم الكوفيون وكان لذلك آثار ظهرت في آراء الزجاجي ومؤلفاته كما سنرى .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلامذته :

وأما تلامذته فمنهم من أخذ عنه مباشرة ، ومنهم من انتفع بكتبه ، وقد كان يحب أن ينفع الله الناس بعلمه فما يؤلف حتى يطهّر ويطوف ويدعو . وكان ممن أخذ عنه محمد بن صابقة النحويّ ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي نصر وعبد الرحمن بن عمر بن نصر ، وأحمد بن محمد بن سلامة (أو سلة) الدمشقيون وأبو الحسن علي بن محمد بن اسماعيل بن محمد التميميّ الأنطاكيّ وهو الذي روى عنه كتابه مختصر الزاهر [2] وذكر ابن عساكر أن ممن حدث عن الزجاجي أيضاً أبا يعقوب اسحاق بن احمد الطائي [3] .

---

(١) تاريخ دمشق : ٩ : ٣٤٢

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٤٣

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٠٥

ونلاحظ أن أكثر تلامذة الزجاجي كانوا من دمشق ، ولعل سبب ذلك أنه أقام في دمشق أكثر مما أقام في غيرها وفيهـا حدّث وأملى وألف . قال محقق كتاب الجمل « ثم سكن دمشق وطبرية وأيلة فأملى وحدّث ولا سيما بدمشق [١] وقال القفطي « وانتقل الى الشام فأقام بحلب مدة ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها وصنّف [٢] وكذلك ذكر ابن عساكر [٣] والسيوطي [٤] . وجاء في (اشارة التعيين) انه كان يدرس بجامع دمشق .

وأما الذين انتفعوا بتآليفه فقد شاع على الألسن أنهم كثيرون . وكأن المؤلفين لما سمعوا خبر ورعه وتقاه ودعائه أن ينفع الله الناس بعلمه وقعوا تحت تأثيره وتناقلوا خبر النفع بكتبه حتى انه ما من أحد منهم ذكر كتاب الجمل للزجاجي إلا وصفه بالبركة والنفع العميم .

قال ابن خلكان « وكتابه الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به » ثم يقول — وكأنه يعلل — « ويقال إنه صنّفه بمكة حرسها الله تعالى وكان اذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه » [٦] .

وقال اليافعي : « وسكن دمشق وانتفع به الناس وانتفع بكتابه خلق لا يحصون » ثم ذكر ماذكره ابن خلكان من أمر الطواف والدعاء ووصف كتاب الجمل بالوضوح وأنه مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع وأن نفعه عمّ بلاد الإسلام [٧] .

---

(١) مقدمة الجمل
(٢) الانباه ٢ : ١٦٠
(٣) تاريخ دمشق ٩ : ٤٣٢
(٤) البغية : ٢٩٧
(٥) اشارة التعين و ٢٦
(٦) وفيات ١ : ٣٨٩
(٧) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢

وقال صاحب كشف الظنون في معرض حديثه عن كتاب الجمل «وهو كتاب نافع ومفيد» .

وجاء في شذرات الذهب أنه «انتفع بكتابه خلق لا يحصون ...»[١] .

وجاء في الانباه ما يوضح هذا الربط بين دعاء الرجل وانتفاع الناس بعلمه إذ روى القفطي الخبر الآتي «وسمعت من لفظ الشيخ أبي البقاء صالح بن عادي الغوري الأنماطي النحوي نزيل قفط ان الزجاجي - رحمه الله - صنف الجمل بمكة حماها الله وكان اذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله ان يغفر له وان ينفع به قارئه ولهذا انتفع به الطلبة ...[٢]»

ثقافته :

لقد كانت ثقافة الزجاجي ثقافة رجل عاش في أواخر القرن الهجري الثالث وأدرك أربعين سنة من القرن الرابع ، هذا القرن الذي حفل بنتاج خصب للعقلية الإسلامية في أوج نضجها ورقيها ، فعاصر الأخفش علي بن سليمان والزجاج وابن السراج وابن الانباري والسيرافي وابن دريد ، وغيرهم ، وكان واحداً منهم ، بل من اكثرهم نشاطاً في العلم والتأليف .

وتظهر لنا سعة ثقافته في مؤلفاته الكثيرة ، وما تتصف به من عمق وتنوع وكأنه جمع في نفسه ما تفرق عند أساتذته من فنون العلوم ؛ فقد كان منهم من اتسع أفقه في النحو كالأخفش علي بن سليمان وابن الخياط وابن شقير وابن كيسان فكان الزجاجي مثلهم في سعة العلم بالنحو وما يتصل به من اختلاف المذاهب وتشعب الآراء . وكان منهم من غلب عليه علم اللغة كابن دريد وأبي موسى الحامض ، فكان الزجاجي كذلك لغوياً كما هو في أماليه .

(١) الشذرات ٢ : ٣٥٧
(٢) الانباه ٢ : ١٦١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونرى الزجاجي اذا تعرّض للنقد نافذاً بصيراً بمواطن الضعف عارفاً بمحاسن التأليف ، فهو يكره الجمع والتقليد ، ويحب الابداع والابتكار، والوضوح والسلامة من الخطأ ، ويقدّر تعب المؤلف وجهده ... ويتضح هذا في نقده للمفضّل صاحب كتاب « الفاخر » ولابن الأنباري صاحب « الزاهر » حين أتى على ذكر هذين الكتابين في مقدمة « مختصر الزاهر » [1] .

وقد اشتهر الزجاجي بكثرة تآليفه حتى عرف بصاحب التصانيف [2] ، وكانت تصانيفه متنوّعة الموضوعات ففيها النحو والصرف وحروف الهجاء والمعاني والقوافي والشعر واللغة والأدب ، وسيأتي الحديث عن هذه الآثار مفصلاً فيما بعد .

ولم تكن ثقافة أبي القاسم عربية فحسب ، إذ كان عارفاً لبعض اللغات الأخرى وقد ذكر ذلك دون أن يصرح بهذه اللغات أو يعيّنها فقال في معرض حديثه عن أقسام الكلام وكونها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف : « وقد اعتبرنا ذلك في عدّة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك . » [3] . وكم كنا نودّ لو أنه عيّن هذه اللغات أو لجأ خلال حديثه عن العربية إلى شيء من الموازنة بينها فكانت تكون معرفته لغير العربية أعود بالنفع والفائدة .

ولا بد لنا ونحن بصدد تقويم ثقافة الزجاجي من وقفة قصيرة عند رأي أبي علي الفارسي الذي نقلوا عنه أنه قال : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه » [4] .

---

(١) ص ٢١ من هذا البحث
(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧
(٣) الايضاح : ٦
(٤) نزهة الألبا : ٣٧٩ . وإنباه الرواة ٢ : ١٦٠

لم ينقل هذا القول أحد ممن عاصر الرجلين وترجم لها كالزبيدي وابن النديم وانما نقله المتأخرون كابن الأنباري (٥٧٧ هـ) والقفطي (٦٤٦ هـ)! ومع ذلك فإذا صحّ صدور هذا القول عن الفارسي — وما أراه غريباً عنه — فيجب أن نعرف دوافعه ونتبين مدى الحق فيه .

لقد كان الفارسي أستاذ عصره ومتقدّم أهل الصنعة في زمانه وأنحى من جاء بعد سيبويه ولم يكن الزجاجي ندًّا له على الرغم من أن ابن الأنباري يعدّه في طبقته . إلا أن تأخر الزجاجي عن مرتبة الفارسي لا يبرّر هذا الازراء به والطعن عليه ، فكتب الرجل شاهدة بعلمه ، وأقوال العلماء فيه وإقبالهم على آثاره دليل على مكانته وفضله . وما أظن رأي الفارسي فيه إلا من قبيل عداوة الصنعة والطعن على أهلها والحرص على مكان الصدارة فيها ، وقد اعتاد الفارسي أن يطلق مثل هذا القول في زملائه ونظرائه ، وقد قال ما يشبهه في أبي الحسن الرماني حين زعم انه إن كان النحو ما عند الرماني فليس عنده منه شيء ، وإن كان النحو ما عند الفارسي فليس عند الرماني منه شيء . وذكرت عنه أقوال ينال بها من ابن الخياط وابن خالويه والسيرافي . . وغيرهم[1] وقد نستطيع أن نضيف الى هذا العامل النفسي عاملاً آخر هو أن أبا علي كان يحب سيبويه ويعجب به ويتعصّب له ، والزجاجي لم يكن ـ على إعجابه بسيبويه وانتصاره له ـ ليقبل كل آرائه بل لقد مال عن بعضها وقال بخلافه[2] أفيغضي الفارسي عيناً عن هذا الرجل يتطاول على مقام سيبويه ؟

وقد أورث الفارسي حبه لسيبويه وتعصبه له تلاميذه من بعده ، فكان ابن جني كثير الاعجاب بسيبويه شديد الحماسة له عنيفاً في الذّود عنه ، وقد

(١) انظر رسالة الفارسي الى سيف الدولة الحمداني في معجم الأدباء ٧ : ٢٥٧
(٢) انظر مثلا باب الصفة المشبهة في كتاب الجمل .

ظهر هذا العنف حين ردّ على المبرد لأنه تعقب على سيبويه فعدّه واهماً بل جعل المغالطة في آراء سيبويه عادة سار عليها المبرّد[١] (!) على حين نجد الزجاجي في كثير من الأحيان معجباً بالمبرد ينتصر له ويفخر بابتكار الحجج لتأييده وتثبيت رأيه[٢] . ثم إن الزجاجي تلميذ الزجاج ، والزجاج تلميذ المبرّد المقدّم وهو الذي أحبه وتعصب له وهجر شيخه ثعلباً لأجله بل ألّف في الرد عليه أفلا يعقل في طباع البشر أن يكون إعجاب الزجاجي بأستاذه وانتصاره لشيخ أستاذه سبباً في سخط الساخطين على الأستاذ وشيخه ؟

مهما يكن من أمر ، وسواء كان الفارسي مخلصاً في رأيه أو غير مخلص فقد كان هذا الرأي مجانباً للحق بعيداً عن الصواب .

مذهبه النحوي :

لم يكن الزجاجي غريباً في العصر الذي عاش فيه ، ولا بعيداً عن جو البيئة التي نشأ فيها ، وانما كان ابن عصره وبيئته . أما العصر الذي عاش فيه فقد كان يتميز بفتور حدّة التعصب المذهبي في النحو . وأما بيئته فقد قامت فيها طبقة جديدة من العلماء جمعتها مساجد بغداد ، وحلقات العلم فيها ، ووصل اليها علم البصرة والكوفة ، فإذا هي لا تميل الى قول إحداهما كل الميل ولكنها تأخذ من كل من القولين بطرف مع شيء من التفاوت في مقدار ما تأخذ .

والزجاجي واحد من هؤلاء الذين تلقوا علم البصرة والكوفة ، وبسطوا أقوال علماء المذهبين جميعاً منتخبين منها ما يرون أنه الحق ، وكان بعد ذلك أميل الى البصريين في آرائه وأحكامه .

وليس غريباً أن يكون الزجاجي بغدادي النزعة مع ميله إلى الأخذ بأقوال

(١) انظر سر صناعة الإعراب : ٢١١

(٢) انظر باب معرفة حد الاسم والفعل والحرف في كتاب الإيضاح .

البصريين . ولا عجب في أن يحيط علماً بالمذهبين البصري والكوفي ، وأن يعتدل بينهما فلا يتعصب لأحدهما فقد كان معظم أساتذته كذلك ؟ فأستاذه الأخفش كان قد قرأ على ثعلب كما قرأ على المبرد [١] ، وأستاذه ابن الخياط كان يخلط المذهبين ، ويمزج نحو البصريين بنحو الكوفيين [٢] ، وكذلك كان أستاذه ابن شقير الذي خلط علم البصريين بعلم الكوفيين [٣] ، وابن كيسان الذي كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين ويعرف المذهبين وقد أخذ عن ثعلب والمبرد [٤] ، وكان قيماً بمذهب البصريين والكوفيين [٥] . وأبو بكر بن السراج الذي أخذ عن المبرد وإليه آلت رياسة النحو بعده ، ولكنه عوّل على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة [٦] . بل ندع هؤلاء وننظر في سيرة الزجاج نفسه وهو الذي كان أبو القاسم شديد الصلة به ، كثير الملازمة له ، ألم يكن من تلامذة ثعلب ثم غدا بعد ذلك بصرياً من أبرع أصحاب المبرّد ؟ قال الزبيدي : «لما قتل المتوكل بسرّ من رأى ، رحل المبرد إلى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختلّ وأدركته الحاجة ، فتوخّى شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفاتحه السؤال ، ليتسبّب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسر ، يوهم بذلك أنه قد سُئل ، فصارت حوله حَلْقَة وأبو العباس يصل في ذلك كلامه ، فتشوّف أبو العباس

(١) معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٦
(٢) نزهة الألبا : ٣١٢ والفهرست : ١٢١
(٣) أخبار النحويين البصريين : ١٠٩
(٤) طبقات الزبيدي : ١٧٠
(٥) نزهة الألباء : ٣٠١
(٦) نزهة الألباء : ٣١٣ ، ومعجم الأدباء ٨ : ١٩٧

أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر ، فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم ، فاذا بصُر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من يفاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفضّ الناس عنهم . فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر ابراهيم بن السري الزجاج وابن الحائك بالنهوض ، وقال لهما : فضّا حلقة هذا الرجل . ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له ابراهيم بن السري : أتأذن - أعزّك الله - في المفاتشة ؟ فقال له أبو العباس : سل عمّا أحببت . فسأله عن مسألة فأجابه فيها بجواب أقنعه ، فنظر الزجّاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس الجواب . فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس : أقنعت بالجواب ؟ فقال : نعم . قال : فإن قال لك قائل في جوابنا هذا كذا ، ما أنت راجع إليه ؟ وجعل أبو العباس يوهي جواب المسألة ويفسده ويعتلّ فيه ، فبقي إبراهيم سادراً لا يحير جواباً ، ثم قال : إن رأى الشيخ - أعزّه الله - أن يقول في ذلك ؟ فقال أبو العباس فإن القول على نحو كذا . . . فصحح الجواب الأول وأوهى ما كان أفسده به ، فبقي الزجّاج مبهوتاً ، ثم قال في نفسه قد يجوز أن يتقدّم له حفظ هذه المسألة واتفاق القول فيها ثم يتفق أن أسأله عنها . فأورد عليه مسألة ثانية ، ففعل أبو العباس فيها بنحو فعله في المسألة الأولى حتى والى بين أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول . فلما رأى ذلك ابراهيم بن السري قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فلست مفارقاً هذا الرجل ، ولا بدّ لي من ملازمته ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجهول لا تعرف اسمه ، وتدع من قد شُهر علمه وانتشر في الآفاق ذكره ؟ فقال لهم : لست أقول بالذكر والخمول ولكني أقول بالعلم والنظر . فلازم أبا العباس ، وسأله عن حاله ، فأعلمه برغبته

في النظر وأنه قد حبس نفسه على ذلك إلا ما يشغله من صناعة الزّجاج في كل خمسة أيام من الشهر ، فيتقوّت بذلك الشهر كله . ثم أجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً ، وأمره أبو العباس باطراح كتب الكوفيين . ولم يزل ملازماً له . وآخذاً عنه حتى برع من بين أصحابه [١] » .

على أن هـذا لا يعني أن أساتذة الزجاجي كلهم كانوا بين البصريين والكوفيين وإنما كان بعضهم ذا مذهب أو اتجاه واضح ، كابن الأنباري الذي كان كوفياً ، بل « أحفظ من تقدم من الكوفيين [٢] ، وأعلم الناس بنحوهم [٣] ، وشديد الولاء لمذهبهم » حتى إنه تعصب ضد ابن كيسان ، لأن هذا خلط بين المذهبين . وكأبي موسى الحامض الذي كان يتعصب على البصريين مع أنه خلط القولين [٤] على عكس ابن كيسان الذي كان ميله الى مذهب البصريين أكثر [٥] .

فجلّ أساتذة الزجاجي إذاً ممن خلط المذهبين ، وإن كان لبعضهم ميل إلى آراء البصريين أو الكوفيين . وهو لا يختلف عن هؤلاء الأساتذة الأحرار الذين لم تستبعدهم أقوال فئة معينة من النحاة ، وانما كانوا يطلعون على القولين ، ويختارون من المذهبين .

لقد كان الزجاجي مستقلّ الشخصية حرّ الفكر لا هو بالبصريّ المحض ، ولا بالكوفي المحض ؛ يرى الرأي فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه كوفياً كان أو بصرياً . وقد يذكر الرأين ثم ينعت أحدهما بما يدلّ على تأييده للثاني

(١) طبقات الزبيدي : ١١٨
(٢) المصدر السابق : ١٧١
(٣) معجم الأدباء ٨ : ٣٠٦
(٤) بغية الوعاة : ٢٦٢
(٥) طبقات الزبيدي : ١٧٠

كأن يقول : « وإن قلت كذا كان قبيحاً . وأهل البصرة لا يجيزونه [١] » . أو أن يقول بعد ذكر رأيه : « هذا هو الوجه الجيد [٢] » . وقد يعرض لأكثر من رأي واحد ، فيصنف الآراء تصنيفاً يسير فيه بحسب القوة والضعف في رأيه ، كأن يقول : « الأجود في هذا الباب كذا ، وبعد ذلك كذا .... ودون ذلك كله كذا .. » [٣]

وأما إذا أردنا ان نتعرّف الى مذهب الزجاجي النحوي من خلال استعماله للمصطلحات ، وقد كان لكل من البصريين والكوفيين مصطلحاتهم ، فإننا نجده العالم المدلّل الذي لا تهمه الأسماء ، بل يهمه أن يوضح مراده ، ويدني المعنى من الفهم ، فتراه يستعمل الأسماء المختلفة للمسمّى الواحد ، كقوله : « الفصل و يسميه الكوفيون العماد » [٤] . ونراه يصرّح بتغيير ألفاظ الذين يحكي عنهم فيقول : « وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين ... إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم » . وهو لا يفعل ذلك تعصباً ضدّهم بل رغبةً منه في التوضيح كما يقول ، « لأنه « لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها ، لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعلّ أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم » [٥].

الخلاصة إذاً أن الزجاجي كان كأكثر أساتذته الذين لم يكونوا بصريين خلصاً ولا كوفيين خلصاً ، وانما كانوا ذوي نزعة تجديدية تمزج بين نحوي البصرة والكوفة ، وتأخذ من محاسنها ، تاركةً العصبية المذهبية جانباً ، فلم تكن ثقافتهم النحوية بصرية محضاً ، وانما كانت مزاجاً من الثقافتين وانتقاء

---

(١) الجمل : ١٥٠
(٢) الجمل : ١٦٩
(٣) الجمل : ٢١٨
(٤) الجمل : ١٥٢
(٥) الايضاح : ٧٢

من المذهبين ، وإن كان أخذها من أحدهما بتفاوت قوة وضعفاً ، وكثرة وقلة .

هذا التفاوت في الميل إلى أحد المذهبين كان عند الزجاجي في جانب البصرة ؛ فعلى الرغم من أن معظم أساتذته كانوا على صلة وثيقة بنحو الكوفة ، ومذهب علمائها ، وأنهم أخذوا عن ثعلب ، وكان منهم ابن الأنباري والحامض الكوفيان فقد ظهر ميل أبي القاسم الى البصريين حين اعتبر نفسه منهم فقال : « أصحابنا البصريون [1] » ؛ وقال : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطّرة في كتب الكوفيين [2] » . وظهر ميله هذا حين كان يؤيد رأيهم كما في قوله عن الزاهر : « ووجدت فيه أيضاً مواضع من النحو وعلله ومن التصاريف على مذهب البصريين ودللت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين [3] » .

ولعلّ هذا الميل الى آراء البصريين يرجع إلى تأثير الزجاج في تلميذه ، فمن الواضح أن نسبته إليه تدل على أنه كان أستاذه المفضّل وشيخه الأول ، وقد رأينا كيف مال الزجاج عن ثعلب وهجره إلى المبرد الذي أوصاه بطرح كتب الكوفيين .

ومن حق الزجاجي علينا أن نبيّن أخيراً أن هذا الميل لا يعني أبداً أنه كان متعصّباً ضدّ الكوفيين ، فقد كانت حدة التعصّب فترت من جهة ، وكانت نفسه ـ من جهة أخرى ـ أسمى من أن يعميها التعصب عن الحق . إن « بصريّة » الزجاجي لم تحل دون استعماله مصطلحات في مصنّفاته . وهو يبسط آراء الكوفيين ، ويذكر أحسن احتجاجاتهم ، ولا يُغلظ لهم القول إن ردّ عليهم ، شأنه في ذلك شأن العالم المنصف المتزن ، لقد كان أبو القاسم

(١ و٢) الأشباه والنظائر ٣ : ٤٦

(٣) مختصر الزاهر : الورقة ١

« زجاجياً » حقاً ، والزجاج هو الذي قال حين عوقب على تركه ثعلباً والتزامه المبرّد : « لست أقول بالذكر والخمول ، ولكني أقول بالعلم والنظر » . وكذلك كان تلميذه أبو القاسم لا يقول بالميل والهوى ولكنه يقول بالعلم والحق .

أسلوبه :

وكان الزجاجي ذا أسلوب رصين ، ومنطق محكم متين ، ونَفَس طويل ، يلج ميادين الجدل ، بل يفتح على نفسه أبوابها ، ويختلق لخصومه الحجج ، بالنقض ، وعلى العلل بالإبطال ، صنيع علماء المنطق في ايراد أدلة خصومهم لهدمها وبناء آرائهم على أنقاضها ؛ كما كان يمتاز بدقة العالم وأمانته ، فهو لا ينسى إذا كان في صدد الاستشهاد بلفظ أو بيت أن يعنى بالسند العناية اللازمة كما فعل في الأمالي . وهو لا يذكر خبراً إلا يعزوه الى مصدره ويذكر عمن أخذه ويزداد تقديرنا لهذه الصفة إذا علمنا أن جلّ مسائله التي ذكرها لم تكن مدوّنة في الكتب وإنما أخذها مشافهة عن شيوخه وأساتذته . قال في مقدّمة الإيضاح : « ونضمّ إلى العلل بعد تقديها ، مسائل مجموعة منثورة من سائر الحدود ، منها ما استخرجناه من كتب العلماء وبسطناه وهذّبناه وقرّبناه ، ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . » وقال في آخر جوابه عن مسألة وردت عليه : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة وهي مسطرة في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخياط ، وابن شقير ، فأجاباني بما ذكرته لك[1] . » ومثل ذلك ما ذكره في مقدمة الإذكار بالمسائل الفقهية . » من إيضاح لمصادر التي استقى منها[2] . مما يجعلنا نقدّر فيه دقة العالم وأمانة المؤلف .

---

(١) الأشباه والنظائر ٣ : ١٤٦

(٢) هذا البحث ص :

وخلاصة القول أن أبا القاسم الزجاجي ، كان من أفاضل الأئمة في النحو واللغة والأدب . شهد له العلماء بالفضل ، وعدّوه في طبقة أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي [١] . وحسبه ما عُرف عنه من شيوع مؤلفاته وعموم نفعها ، وأن كتابه « الجُمَل » كان عليه المعوّل في مرحلة من مراحل تأريخ النحو حتى قيل فيه : هو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز ، واليمن والشام ، إلى ان اشتغل الناس باللُمع [٢] لابن جني والايضاح [٣] لأبي علي الفارسي [٤] » .

(يتبع) مازن المبارك

(١) نزهة الألبا : ٣٧٩

(٢) كتاب اللُمع لأبي الفتح عثمان بن جني ، وهو كتاب صغير في النحو ، منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقمها / ١٧١٩ نحو / كتبت سنة ٦٨٠ في بغداد عدد أوراقها / ٦٤ / . ولكتاب اللمع عدة شروح .

(٣) الايضاح كتاب شامل في النحو لأبي علي الحسن بن أحمد ابن عبد الغفار الفارسي منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقمها / ١٠٠٦ نحو / كتبت بخط مغربي سنة ٥٦٦ هـ وهي في جزأين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦١

كتاب شرح الألفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي

توطئة :

المخطوطات القيمة التي حازتها خزانة المجمع الآسياوي بكلكتا (بنغالا ـ الهند) عثرتُ من بينها على مجموع [1] عتيق رقمه A. 120 يحتوي على رسائل عدّة ، في القراءة ووجوهها ، منها أثر لطيف ، لابي محمد بن القاسم بن محمد ابن بشّار الانباري النحوي اللغوي الشهير ، المتوفى سنة ٣٢٨/٧ (٩٣٩/٨ م) وهو كتاب شرح الالفات ، الذي استغرق نحو تسع ورقات ، من بين ثلاث وسبعين ورقة من المجموع .

أما بقية الرسائل ، فمنها كتاب نهاية الإتقان في تجويد تلاوة القرآن ، لابي الحسن شُريح [2] بن محمد بن شُريح الرُعيني ، المتوفى سنة ٥٣٧ (١١٤٢ م) وذلك من رواية : محمد بن مؤمن بن سعد الانصاري ، عن مؤلفه ابي الحسن شريح المذكور ، سماعاً منه عليه ، في منزله بمدينة اشبيلية ، حماها الله ، سنة تسع عشرة وخمسمائة [3] (٥١٩/١١٢٤ م) وهو في طليعة المجموع ، وقد وردت

---

(١) راجع : فهرس المخطوطات العربية في خزانة المجمع الأسياوي (ص ٤٧ ـ ٤٨ ، سنة ١٩٣٩ م كلكتا) .

(٢) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٣٢٤ ، رقم ١٤١٨ .

(٣) العبارة بنصها عن ظهر المخطوط من كتاب نهاية الاتقان ، وقد جاءت في ٤ أسطر وآخر السطر الرابع ما نصه : نفعه الله وايانا بذلك ـ ومحمد بن مؤمن هذا لم يترجم له ابن الجزري كما لم يذكره في من أخذ عن أبي الحسن شريح ؛

في مواضع من هوامشه [١] ، خطوطٌ وتوقيعات بقلم المقرىء ابراهيم [٢] بن محمد ابن وثيق الاموي ، المتوفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) بالاسكندرية ، وكان رحمه الله قرأ على حبيب [٣] بن محمد بن حبيب ، ابي الحسن الحميري الاشبيلي ، سبط المقرىء ابي الحسن شريح الرعيني المقدّم الذكر .

ومنها رسالةٌ في الحروف ، لابن وثيق الاموي الاشبيلي الآنف الذكر .

ومنها قطعةٌ من كتابٍ لابي عمرو [٤] عثمان بن سعيد الداني الاموي ، المتوفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) ، ومعظم المجموع عبارةٌ عن تلك القطعة :

ومنها ، أوراق عدّة ، تختلف عن جملة الرسائل المذكورة ، وهي من كتاب لا يمكن العثور على عنوانه ورسمه ، فضلا عن معرفة مؤلفه واسمه :

تلك الرسائل كلها : مبتورة ، ناقصة ، مخرومة ، أكلت منها الليالي أكلاً لمّا ، ماعدا كتاب شرح الالفات ، لابن الانباري ، والورقات مختلة الترتيب ، جاس بعضها خلال بعض ، فتصفحتُ المجموع ، وأممتُ النظر فيه ورقةً ورقةً حتى عثرتُ على جملة اوراقٍ من كتاب شرح الالفات ، وقد جاءت تسعةً ، بلا نقصٍ ولا زيادةٍ ، على هذا الترتيب : الورقة الـ ٨/ب ـ ١١ ، ٥ ـ ٤ ٣ ، ٢٥ ، ٢٢ / ظ ، ولم يفُتنا شيءٌ من هذا الأثر النفيس ، فالحمد لله على ذلك .

هذا المجموع على اختلاف ما تضمن من خروم الرسائل ، راجعٌ الى القرن السابع ، بحكم القرائن الخطية والآثار الشاهدة بلسانها على القدم ، والخروم كلها

---

(١) الورقة الـ ٢٤ ظ ، والـ ٣٠ ب ، والـ ٣٢ ب ، والـ ٣٥ ظ .
(٢) راجع غاية النهاية ، ج ١ ص ٢٤ ، رقم ١٠١ .
(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٠٢ ، رقم ٩٣٢ .
(٤) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٥٠٣ رقم ٢٠٩١ .

مغربية السوس ، عتيقة اللبوس ، خطوطها متراوحة بين النسخي والجوهر المألوف عند المغاربة ، والتشابه الخطي بين كتاب شرح الالفات وبين قطعتي الرعيني وابن وثيق الأموي ، أشدّ وأقوى ، حتى يغلب على الظن ان المجموع قضى برهة من الزمان ، في حوزة ابن وثيق هذا ، ويؤيده ما ورد في حواشي كتاب نهاية الاتقان من خطوط ، بقلم ابن وثيق موقعة بما نصه ـ « قال ذلك ابن وثيق » ـ و ـ « قال ذلك ابراهيم بن محمد بن وثيق » ـ

أما كتاب شرح الالفات : فقد سماه ابن النديم [1] ، في عداد مؤلفات ابن الانباري بكتاب الالفات ، وتبعه ياقوت ، في إرشاد [2] الاريب ، فلم يعرفاه بشرح الالفات كما لم يذكرا عن مقداره ، وفصوله ، شيئاً نستمدّ به ، في القطع بان كتاب الالفات ، الذي ذكراه ، هو ليس غير هذه النسخة المرسومة ، بشرح الالفات ، على أني لا أتمارى في عزو شرح الالفات هذا ، الى ابن الانباري ، والذي نستند اليه ونثق به ، في ذلك هو السند المزبور في طليعة النسخة ، فانه ينبىء القراء ، عن قدر هذا الأثر بين العلماء الجلة ، حيث تناقله بعضهم عن بعض ، منذ عصر مؤلفه ، ابن الانباري ، الى منتصف القرن السابع ، وكلهم اعلام ، معاريف ، على اختلاف عصورهم ، لا ينكر فضلهم ، ولا يشقّ غبارهم ، وسنُسرد اسماؤهم في موضعها من السند ؛ ويؤيده ما ورد ، في اللسان [3] والتاج ، من كلام ابن الانباري في ترجمة الألف ، وسيأتي التنبيه الى ذلك في غير موضع ، من نصّ الكتاب ؛ ثم الذي يزيدني ثقة بما اعتقدت ، ان بعض ما وصل الينا من مؤلفات المتقدمين ، ربما لا يتجاوز بضع ورقات .

---

(١) راجع كتاب الفهرست : ص ١١٢ طبعة مصر .

(٢) انظر الارشاد : ج ٧ ص ٧٧ طبعة لذكا رغب .

(٣) راجع اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣ ، وتاج العروس : ج ١٠ ص ٤٢٣ .

قد تصفحت من فهارس النسخ الخطية ، ما وصل اليه يدي ، بحثاً عن مخطوطٍ آخر من هذا الكتاب ، فاطلعت على نسخةٍ ، منه ، عتيقةٍ ، في خزانة برلين ، في ضمن مجموع [1] ، برقم ٦٨٥٦ ، عنوانها : شرح الالفات المبتدءات في الاسماء والافعال وهي تستغرق نحو سبع أوراقٍ من المجموع (الورقة الـ م ـ الـ ٧/ظ) وانتسخها عبد الواحد بن احمد الثقفي ، في شهر شعبان ، سنة ٥٠٨ (١١١٥ م) وقد اورد منها اهلوردت عدّة اسطرٍ بنصها ، فاستدللتُ بها ان النسخة لا تختلف عن نسختنا الاصيوبة ، في شيء . وهذه النسخة ، أغفلها بركلمان الألماني ، في تأليفه الحافل ، ولكنه عرّفني بمخطوط [2] آخر من الكتاب رسمه « المختصر في ذكر الالفات » وهو محفوظ في خزانة لاليلي ، باستنبول وضمنه هناك ايضا بمجوع مسجّل برقم ٣٧٤٠ ، وهو يحتوي على رسائل من تأليف مشاهير الكتّاب أمثال الزمخشري ، وابن الحاجب وهذا المختصر ، هو العاشر في الترتيب ، في نحو ست أوراق (الورقة الـ ١٠٣ ـ ١٠٨) وها كم عبارة ختامه كما وردت في مجلة [3] Le Monde Oriental : « تمّ الكتاب لاربع ليالٍ خلون من شوال ، سنة اثنتين وثمانين وستمائة (٦٨٢/ ١٢٨٣) ويغلب الظنّ ان هذا المخطوط ، ايضا ، لا يختلف عن اصلنا المخطوط في شيء من البنية ، أما اختلاف النسخ المتعدّدة ، فيما بينها ، فهو أمرٌ بيّنٌ ، غير مدفوعٍ بحكم البديهة :

قد رجحت النسخة الالمانية ، وفاقت أختيها ، باعتبار التاريخ ، وكذلك نسخة استنبول تطبي القلوب ، اذ جاءت مسجلة بعمرها ، فلا ريب انها بهذا الاعتبار

(١) انظر فهرسة اهلوردت : ج ٦ ص ٢٠٠ (سنة ١٨٩٤ م) .
(٢) راجع تاريخ الآداب العربية — التتمة : ج ١ ص ١٨٢ .
(٣) راجع العدد الرابع (مقال الأستاذ ريشر O. Rescher) ص ١٠٧ سنة ١٩١٣ م .

تفوقان نسخة المجمع الاسيوي بكلكتا ، ولكنها نسخة لا تتأخر عن القرن السابع ولبست دونها في القيمة بل هي تزداد ثمنا ، بما تضمنت من سلسلة إسنادها الى المؤلف ، وذلك يدلّ على صلة الكتاب بطبقة العلماء الأفذاذ ، فقد رواه عن ابن الانباري ابو عمرو الرزّاز ، المتوفى سنة ٣٦٧ ورواه عنه ، ابو الحسن الحمّامي ، المقرئ المتوفى سنة ٤١٧ ، ورواه عنه أبو الحسن العلاّف ، المتوفى سنة ٥٠٥ ، ورواه عنه ، الحافظ ، السِلَفي ، المتوفى سنة ٥٧٦ ، ورواه عنه ، ابن رواج القرشي الاسكندراني ، المتوفى سنة ٦٤٨ .

وتلك مزيّة ، حرمتها كلتا النسختين فيما يظهر ، ولا يخفى انّ النصّ الذي انتقل الينا عن الرُواة الثقات ، لا يُساويه ، ما انتسخه الورّاقون ، في صُحُفٍ غير مروية ، وان كانوا ذوي رويّة !

ثم يجب الانتباه الى أمور ، أولها ، ان موضوع الكتاب ، ليس ببديع ، ولا غامض ، ولكنه أثر عتيق يستحق التنويه لما تضمن من طريقة البحث للمتقدمين في ذلك ، وقد ألف في موضوع الألفات وغيرها من الحروف ، رجال القرون المتقدمة ، على اختلاف طبقاتهم ومناحيهم في مسائل التصريف والإعراب ، منهم المازني ابو عثمان بكر بن محمد البصري ، المتوفى سنة ٢٤٩/٨ (٨٦٣/٢ م) له كتاب (١) الالف واللام وكان الرمّاني شرحه (٢) ، والسيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٦٨ (٩٧٨ م) ، صاحب كتاب الفات الوصل (٣) والقطع ، والجعد ابو بكر ، صاحب ابن كيسان ، له كتاب

(١) انظر كتاب الفهرست : ص ٨٥ ، والوفيات ، لابن خلكان : رقم ١١٧ (طبعة غوتنجن) .

(٢) راجع الفهرست : ص ٩٥ .

(٣) الفهرست : ص ٩٣ ، وابن خلكان : رقم ١٦١ .

الالفات [١] ، وابن خالويه اللغوي ، المتوفى سنة ٣٧٠ (٩٨٠ م) له كتاب الالفات [٢] وهو من اصحاب ابي بكر بن الانباري ، والرماني ابو الحسن علي بن عيسى ، المتوفى سنة ٣٨٢ (٩٩٢ م) له كتاب الالفات [٣] في القرآن وأمثالهم .

واقتصر ابن الانباري — في كتابه هذا — من الألفات على اصولها التي تأتي في أوائل الافعال ، والاسماء ، والادوات ، مع إلمامه ببعض التوابع ، وخص لكل صنف ، باباً فتم الكتاب في ثلاثة ابواب قصيرة ، والذين حاولوا التوسع في الموضوع ، واستفاضوا في البحث عن التوابع ، ذكروا للالف وجوهاً ، وأحصوا لها ضروباً ، مع زيادة بعضهم على بعض ، وتجدها مشروحة ، موجهة في كتاب منازل [٤] الحروف ، المنسوب الى الرماني ابي الحسن علي بن عيسى (المتوفى سنة ٣٨٣) وفي رسالة [٥] الحروف ، المنسوبة الى النضر بن شميل المتوفى سنة ٣/٢٠٤ (٨/٨١٩ م) وفي كتاب سر العربية للثعالبي ، المتوفى سنة ٤٢٩ (١٠٣٧ م) وفي غير ذلك من كتبهم في الباب .

والثاني أن المؤلف ، يلقب الهمزة بالالف . وليس ذلك توهماً منه بل انهم جميعاً ، يتجوزون في تسمية الهمزة بالالف وقد أتى كلامهم في المعنى على أتور واحد .

والثالث انهم اختلفوا في بيان التقسيم الاولي للالف ، فذهبت طائفة الى ان

(١) الفهرست : ص ١٢٢ .
(٢) الفهرست : ص ١٢٤ ، والوفيات : رقم ١٩٣ وقد أحال على كتاب الالفات هذا ، في كتابه : اعراب ثلاثين سورة .
(٣) راجع الفهرست : ص ٩٤ — ٩٥ .
(٤) هذا الكتاب ، نشره ، الفاضل غلام مصطفى ، مجلة كلية الألسنة الشرقية بمدينة لاهور ، العدد الـ ٢ المجلد الـ ٧ ؛ ص ١٨ — ٤٢ .
(٥) راجع البلغة في شذور اللغة : ص ١٦٠ طبعة بيروت سنة ١٩١٤ م .

الالف على ضربين ، الف القطع والف الوصل ، ومنهم السيرافي ابو سعيد ، كما يظهر من ترجمة كتابه فيما تقدم ، والجوهري [١] ، صاحب الصحاح ، وهؤلاء يعتبرون القطعية أنها قد تكون زائدة وقد تكون اصلية ، ومنهم من زعم القطعية ، اصلية فلقبها الف الاصل وقد ذهب الى ذلك ابو جعفر بن سعدان ، وخلف بن هشام البزّار ، وردّ عليها ابن الانباري في كتابه هذا .

وطائفة اخرى تقول ، ان الالفات ثلاثٌ ، اصلية ، وقطعية ، ووصلية وهو مذهب ابي العباس احمد بن يحيى ، ومحمد بن يزيد ، فيما روى عنها [٢] الازهري واختاره ابن الانباري فهؤلاء يحسبون الأصلية ضرباً برأسها .

واذا كانت النسختان ــ الألمانية ، والاصطنبولية ــ من الكتاب ، تقطعت دونها الأسباب والوسائل ، عوّلتُ على النسخة الاسبانية ، وحدها ، وهي في حدّ ذاتها ، نسخةٌ جيدةٌ ، مضبوطةٌ ، مصححةٌ ، قُوبلت مع نسخة أخرى لا أعرفها ، وقد نبه صاحب اصلنا المخطوط ، على الخلاف ما بينها وسيرد ما حُكي عنها في موضعه من التعليقات .

في حاشية الاصل ، أيضا ، زياداتٌ ، أثبتها الناسخ بخطه ، لا يتمّ الكلام ، بدونها ، فأدمجتها ، في سياق المتون ، حيثما يقتضيها سداد نظم الكلام ، وجعلتها بين القوسين .

وجاءت في موضع من الكتاب ، عبارةٌ طويلةٌ ، تستغرق هوامش الورقتين الـ ١٠/ب ــ الورقة الـ ١١/ظ ، علقها الناسخ من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الانباري أيضاً ، حولتُها ، عن موضعها من الهامش ، وقيدتُها في آخر نسختنا ، لكونها فائدةً برأسها .

---

(١) انظر صحاح اللغة ــ ج ٢ ص ٥٧١ .

(٢) انظر تاج العروس ــ ج ١٠ ص ٤٢٢ .

وقد عاث العثّ ، في غير موضع من المخطوط ، فشوّش حروفاً ، وأذهب التفليف والترقيع ، طائفة منها ، فوضعت كلّ ما رأيته ، صواباً ، في تلك المواضع ، بين المربعين وقد زدتُ ، في اكثر من موضعٍ ، لفظاً او لفظين ، بمقتضى السياق والسباق ، فما جاء على هذا المثال ، يحيط به العكفان .

وطول المخطوط ١٧ سنتمتراً ونصف في عرض ١٣ سنتمترا والقسم المكتوب من كل صفحة طوله ١٢ سنتمترا في عرض ٩ س . وفي كل صفحةٍ ١٧ سطراً وفي الصفحة الاخيرة ٨ سطورٍ فقط .

ابو محفوظ الكريم معصومي (الهند)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب شرح الألفات

[ورقة الـ ٨ / ب] بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد ،

قال ، ثنا ، الشيخ ، الفقيه ، الراوية [1] ، ابو محمد عبد الوهاب بن ظافر القرشي ، عرف والده ، برواج [2] ،

قال ، ثنا ، الشيخ الفقيه ، الحافظ ، أبو الطاهر احمد [3] بن محمد

---

(١) الاصل : الرواية .

(٢) المحدث ابن رواج ، رشيد الدين ، ابو محمد ، عبد الوهاب بن ظافر بن علي ابن فتوح الاسكندراني المالكي ، ولد سنة ٥٥٤ (١١٥٩ م) وتوفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ م .
له ترجمة في تذكرة الحفاظ ، للذهبي (ج ٤ ص ٩٢) وفي حسن المحاضرة للسيوطي (ج ١ ص ١٥٩ – ١٦٠ ، طبعة الشرقية ، ١٣٣٧ ه) وفي شذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٤٢) وممن أخذ عنه محمد بن يوسف المقدسي ، المتوفى سنة ٧٠٣ / ١٣٠٣ م (غاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٨) والشيخ بديع الدين المصري علي بن محمد المتوفى سنة ٦٨٦ / ١٢٨٧ م (بغية الوعاة : ص ٣٥١) وفي بعض المظان : ابن رواح بحاء ، مصحفاً ؛ وابن رواج هذا ، يروي عن الحافظ السلفي ، كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ، تأليف القاضي ، أبي محمد الحسن ابن محمد بن خلاّد الرامهرمزي – بسماعه عليه في شهر رمضان ، سنة ٥٧٤ / ١١٧٨ م (انظر فهرس النسخ الخطية باسكوريال ، تأليف ه. ديرنبورغ : ج ٣ رقم ١٦٠٨) .

(٣) هو من جلة الحفاظ ، توفي يوم الجمعة ، خامس عشر ، ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة (٥٧٦ / ١١٨٠ م) له ترجمة في أنساب السمعاني (الورقة ، الـ ٣٠٢) والوفيات (رقم ٤٣ ـ طبعة غوتنجن) وتذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ٩٠) وطبقات الشافعية ، للسبكي (ج ٤ ص ٤٣) وغاية النهاية (ج ١ ص ١٠٢ رقم ٤٧٢) وشذرات الذهب ، (ج ٤ ص ٢٥٥) وتاج العروس (ج ٦ ص ١٤٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السِلَفي (١) ، رضي الله عنه .

قال ، أنا ، الحاجب ، ابو الحسن علي (٢) بن محمد بن علي بن يوسف ابن العلاّف ، المقرىء ، ببغداد ، قراءة عليه ، بها ، سنة أربع (٣) وتسعين وأربع مائة ،

قال ، انا ، ابو الحسن[علي] (٤) بن احمد بن عمرو بن حفص ، المقرىء الحَمّامي

<قال> ثنا ، ابو عمرو (٥) عثمان بن احمد بن سمعان ،

---

(١) شكله في الأصل أيضاً ، بكسر السين مع علامة الاهمال تحتهـا ، وبفتح اللام وكتب فوقه صح وكذا ضبطه ابن الجوّالي بكسر ففتح ويؤيده ما وجد بخط يوسف ابن شاهين ، وهذه النسبة الى سِلَفه تعريب سه‌لبه بالفارسية أي ذو ثلاث شفاه ، وهو جده ، وكان مشقوق الشفة وفي قول الزركشي ، شلفه بالشين معجمة ، أو النسبة الى قرية باصفهان وهو غلط وقيل الى بني السلف من حمير ذكره ابن الجوّالي ومال اليه الزبيدي (راجع تاج العروس والمراجع السابقة) .

(٢) هو آخر من روى عن الحمّامي . ولد سنة ٤٠٦ / ١٠٠٥ م وتوفي عن مائة إلا سنة ، في المحرم سنة ٥٠٥ / ١١١١ م . له ترجمة في شذرات الذهب (ج ٤ ص ١٠) .

(٣) ٤٩٤ / ١١٠٠ م وكانت رحلة السلفي الى بغداد في رمضان سنة ٤٩٣/١٠٩٩ م ، ثم حج وعاد اليها ، فتفقّه ، واشتغل بالعربية (راجع طبقات الشافعية) .

(٤) الحمّامي بفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم روى عنه الخطيب والبيهقي وأبو الحسن ابن العلاّف ، توفي سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ م وقال السمعاني في حدود سنة ٤٢٠/ ١٠٢٩ م وهو متفرد بهذا .
له ترجمة في تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٣٢٩ رقم ٦١٥٦) وأنساب السمعاني (الورقة الـ ١٧٤ ب) وغاية النهاية (ج ١ ص ٥٢١ رقم ٢١٥٧) وشذرات الذهب (ج ٣ ص ٢٠٨) وتاج العروس (ج ٨ ص ٢٦٠) .

(٥) هو الرزّاز ، البغدادي ، ويعرف بالمجاشي بفتح الميم والجيم وبعدها الألف وفي آخرها الشين المعجمة ، وفي أنساب السمعاني « البزار » وفي غاية النهاية « النجاشي » بالنون ، مصحّفين ، توفي سنة ٣٦٧ (٩٧٧ م) راجع له تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٣٠٦ رقم ٦١٠١) والأنساب (الورقة الـ ٥٠٨) وغاية النهاية (ج ١ ص ٥٠١ رقم ٢٠٨٣) .

قال ، قال ، ابو بكر محمد (١) بن القاسم بن بشار الانباري النحوي

باب (٢) ذكر الألفات التي يُبتدأ بها في أوائل الأفعال

وانما قدمناها ، على ألفات الأسماء ، والأدوات ، لقرب اصولها ، على المستفيدين وسهولة التفريع منها ، وقلة التباس العلل فيها ، عليهم ؛

اعلم ، ان الالفات المبتدأ بها ، في اوائل الافعال ، ستٌّ :

الف اصلٍ ، والف قطعٍ ، والف وصلٍ ، والف (٣) الاستفهام ، والف الخبر عن نفسه ، والف ما لم يُسَمَّ فاعله ،

فأما الف الاصل ، فانها تعرف ، بان ترى فاءً من الفعل (٤) ، ثابتةً في المستقبل ، كقوله تعالى ، أتى امرُ الله فلا تستعجلوه (٥) ،

الفُ أتى ، الف الاصل ، لانّ وزن أتى ، من الفعل ، فَعَلَ (٦) ، فالهمزة ، فاء الفعل ، والمستقبل يأتي ، فالالف موجودةٌ فيه ، ومثل أتى ، أمروا (٧) وأوى ، وأذن ، وأبق ، وأمن ، وما أشبههن ؛

---

(١) هو مؤلف الكتاب ، يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب وصفوه بنهاية الذكاء والفطنة ، وجودة القريحة وسرعة الحفظ وأكثر ما كان يمليه من غير دفتر ولا كتاب ، مات من دون الخمسين وتوفي سنة ٣٢٨/٧ (٩٣٩/٨ م) . له ترجمة في الفهرست (ص ١١٢) وتاريخ بغداد (ج ٣ ص ١٨١ رقم ١٢٢٤) ومعجم الادباء (ج ٧ ص ٧٣) ونزهة الالباء (ص ٣٣٠ — طبعة مصر ، سنه ١٢٩٤) والوفيات (رقم ٦٥٣) وتذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ٥٧٦) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (ص ٣٢٧) والأنساب (الورقة الـ ٤٩/ب) وبغية الوعاة (ص ٩١ — ٩٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٣١٥) .

(٢) مخطوط برلين : « ذكر الالفات » [فهرسة اهلوردت] .

(٣) المرجع المذكور : « الف استفهام » .

(٤) يعني الماضي .

(٥) س ١٦ ، الآية الـ ١ .

(٦) الأصل : « فعلى » .

(٧) كذا بصيغة الجمع في الأصل ، ولو كان « امر » لكان أليط بسياق الكلام .

والف القطع ، تُفتح في الماضي ، والامر ، وتكسر (١) في المصدر ، تعرف [الورقه الـ ٩/ظ] بضم اول المستقبل ، كقوله عزّ وجل ، ألهاكم (٢) التكاثر ، ألف ألهاكم ، الف قطع ، لان (اول المستقبل) مضموم ، وهي الياء ، في يُلهي ، وألهى (٣) ، فعل ماض ، ومثله ، أحسنَ ، وأعطى ، وأقال ، وأنعم ، وأغلق ، وأقفل ،

وتبتدىء ، قوله عز وجل ، وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه (٤) ، أكرمي بالفتح ، لانها الف قطع ، معروفة بضم اول المستقبل ، وهو يُكرم ، وأكرمني ، وكذلك ، أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مخرج صدق (٥) ، ويا سماء أقلعي (٦) ،

وتبتدىء ، قوله عز وجل ، ويخرجكم إخراجا (٧) ، بكسر الالف ، لانها الف قطع ، في المصدر ، اول مستقبلها مضموم ، وهو يُخرج ، وكذلك ، إعطاء ، وإحسان ، وإنعام ،

وانما اختاروا لها ، الكسر ، وعدلوا فيها ، عن الفتح ، كراهية ان يلتبس المصدر ، بالجمع ، اذ أخراج (٨) ، جمعُ خُرجٍ ، وأحسان (٩) جمع حُسنٍ ،

---

(١) موضع خرمٍ في الأصل .
(٢) س ١٠٢ ، الآية الـ ١ .
(٣) رسمه في الأصل : ألها .
(٤) س ١٢ ، ع ٣ ، الآية الـ ١ .
(٥) س ١٧ ، ع ٩ ، الآية الـ ٣ .
(٦) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٩ .
(٧) س ٧١ ، ع ١ ، الآية الـ ١٩ .
(٨) ابن خالويه : فان قيل ، لِمَ كسرت الألف ، في المصدر (الاخراج) قل : لئلا يلتبس بألف الجمع مثل أخراج ، جمع خُرجٍ ، (اعراب ثلاثين سورة : ص ١٥٢) .
(٩) أغفله أصحاب المعاجم . والمعروف في الجمع محاسن ، وهو جمع لا واحد له عند جمهور أهل اللغة والنحو .

وأعطاء [١] جمع عطو ، وأنعام جمع نعم [٢] ،

وكان ابو جعفر ، محمد [٣] بن سعدان ، وخلف [٤] بن هشام ، البزار [٥] ، يلقبان ، الف القطع ، الف الاصل ، وليس ذلك بصحيح عندنا ، من قبل ان الف الوصل [٦] ، هي التي تكون فاءً من الفعل والف القطع ، ليست فاءً من الفعل ، ولا عينا ، ولا لاماً ، وما هذا صفته ، فهو زائدٌ ، غير اصليٍ ؛ والف الوصل ، تعرف ، بسقوطها من الدَّرْج ، وبفتح اول المستقبل ،

---

(١) هذا الحرف مثلّثٌ وكَدَدوٍ ، وظبيٌ عطوٌ : يتطاول الى الشجر ، ليتناول منه (عن القاموس) .

(٢) كذا بسكون العين ، في الأصل ، وقال المجد : وقد يسكّن عينه .

(٣) هو من النحاة الكوفيين ، ولد سنة ١٦١ / ٧٧٧ م ببغداد وتوفي سنة ٢٣١/ ٨٤٥ م . له ترجمة ، في الفهرست (ص : ١٠٤) وغاية النهاية (ج ٣ ص ١٤٣ رقم ٣٠١٩) وبغية الوعاة (ص : ٤٥) .

(٤) أبو محمد ، البزّار ، بغدادي ، أصله من ام الصلح ، ولد سنة ١٥٠ / ٧٦٧ م ، وتوفي ، سنة ٢٢٩ / ٨٤٣ م ، وهو مختفٍ من الجهميّة ؛

له ترجمة ، في تاريخ بغداد (ج ٨ ، ص ٣٢٢ ، رقم ٤٤١٧) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ٢٧٢ ، رقم ١٢٣٥) وتاريخ الحنابلة لابن أبي يعلى (اختصار النابلسي ، ص : ١١٢) ومفتاح السعادة (ج ١ ص ، ٣٧٩) .

(٥) عبارة الأصل هكذا : « . . . وخلف بن هشام ، يلقبان ، الثوار ، الف القطع الف الأصل » ، والثوار ، مصحّفٌ عن البزّار ، ثم هو مدرجٌ في غير موضعه ، والصواب ما قرّرته ، ان شاء الله .

(٦) كذا في الأصل ، وهو غلط ، وجاء في الحاشية ، الأصل صح ، وهذا هو الصواب بلا امتراء ، وهذا الخطأ فيه قديمٌ جداً ، فقد ورد في ما حكاه ابن منظور ، عن ابن الانباري ، ما نصه : والفرق ، بين الف القطع ، والف الوصل ، ان الف الوصل ، فاء من الفعل ، وألف القطع ، ليست فاء ، ولا عيناً ، ولا لاماً (اطلب اللسان ، ج ٢٠ ص ٣١٣) وكذا عند المرتضى الزبيدي ، ولفظه ، والفرق ، بين الف القطع ، والوصل ، ان الف الوصل ، فاء من الفعل الخ (انظر تاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٤٢٣) والصواب الظاهر ، ان الكلام ، هنا ، في الفرق بين الف القطع والف الأصل .

وهي مبنية على ثالث المستقبل ، ان كان الثالث مكسوراً ، او مفتوحاً ، كُسرت وان كان مضموماً ، ضُمّتْ ،

فتبتدئ ، قوله عز وجل ، ان اضرب بعصاك [1] ، بكسر الف اضرب لانها مبنية (على الراء ، في يضرب ، وهي) [الورقة الـ ٩/ب] الف وصل ، اذ كانت ساقطةً ، في الوصل ، مفتوحاً اول مستقبلها ، يضرب ، وانما بنيت ، على ثالث المستقبل ، ولم تُبنَ ، على الاول ، منه ولا الثاني ، ولا الرابع ، لان الاول زائد ، والزائد لا يُبنى عليه ، والثاني ساكن والساكن[2] يبتدأ به ، والرابع لا يثبت على إعرابٍ واحد ، اذ كان مضموماً ، في الرفع ، او ممكّناً في الجزم ، مفتوحاً في النصب ، فبُنيت من اجل ذلك ، على الذي اعرابه لازم ، غير منتقل ، وهو الثالث ، مثل اضرب ، نستعين[3] اهدنا ، تبتدئ به[4] إهدنا ، لانها الف وصلٍ ، مبنية على كسرة الدالِ ، في يهدي ، والضمة الموجودة في الوصل ، هي ضمة نون نستعين ، والف اهدنا ، معدومة ، من اللفظ ، عند الوصل ، ومثله ، ارجعوا[5] الى ابيكم ، ابن لي صرحاً[6] ، امضوا ، ايتوا[7] صفاً ،

فان قال ، قائل ، التاء في ايتوا ، مضمومة ، ومثلها الضاد ، من امضوا ، قيل له ، التاء على تاء يأتي ، و< الضاد ، على > ضاد يمضي[8] ، والاصل

(١) س ٢٦ ، ع ٤ ، الآية الـ ١١
(٢) لعلّ الأصل : لا يبتدأ به ، وهو الصواب
(٣) الفاتحة - الآية الـ ٤ - ٥
(٤) يعني بالكسر
(٥) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ٢
(٦) س ٤٠ ، ع ٤ ، الآية الـ ٩
(٧) س ٢٠ ، ع ٣ ، الآية الـ ٦٤
(٨) الاصل ، يمضي

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

في امضوا (١) وايتوا ، امضِيُوا (٢) ، وائتِيُوا (٣) ، فاستثقلوا الضمة ، على الياء ، فالقوها على الضاد ، والتاء ، بعد ان أزالوا ، عنهما الكسرة ، واسقطوا الياء لسكونها ، وسكونِ الواو ؛

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، اشكر (٤) لي ، أُشكر < بضم الالف > لانها ، الف وصلٍ ، مبنيةٌ على كاف يشكُر ، ومثله أعبدوا (٥) ، أُدخل ، أُخرج ، اقتل ، اكتُبُ ، و ما أشبههنّ ،

وتبتدئ ، قوله تعالى ، ان اصنع (٦) الفلك ، اصنع ، بكسر الالف ، لانها مبنيةٌ على الثالث ، وهو النون ، في يصنع ؛

فان قال ، قائل ، هلاّ (٧) فتحتها ، اذا كان الثالث مفتوحاً ، كما تكسرها ، اذا كان الثالث (٨) ، مكسوراً (٩) ، [الورقة الـ ١٠/ظ] أو نضمها ، اذا كان الثالث مضموماً ، فقل ، كرهتُ ان افتحها ، فيلتبس (الامرُ بالخبر ، ألا ترى (انك لو قلت ، في الامر ، اذهب يا رجل ، اصنع (١٠) يا رجل ، لالتبس بقولي في الخبر ، انا اذهب ، انا اصنع ،

فكسرناها ، لما بطل فيها الفتح ، لانّ الكسر ، اخو الفتح ، وذلك ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الاصل ، امضوا
(٢) الاصل ، أمضيُوا
(٣) الاصل ، أئتيوا
(٤) س ٣١ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٤
(٥) لو كان أعبد ، لكان أليط بالنسق ، لعله : أليق
(٦) س ٢٣ ، ع ٢ ، الآية الـ ٢٧
(٧) الاصل : هل لا
(٨) اكلته الارضة
(٩) جاء بالهامش : بلغت المقابلة
(١٠) في حاشية الاصل ، ما نصه ، وفي نسخة اخرى ، الا ترى انك لو قلت ، اصنع ، بفتح الالف ، لالتبس ، بالاخبار عن النفس ، كقولك ، انا اصنع ، صح في اخرى .

الحركات ، ثلاث فتحة ، و كسرة ، وضمة ، فالفتحة ، اخف الحركات ، ثم الكسرة تليها ، والضمة اثقل الحركات ، فحركت الالف بالكسر ، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة ؛

ومثله ، ائذن [١] لي ، اذهبوا [٢] بقميصي ، اقرأ باسم [٣] ربك ، ابلعي [٤] ماءك ، اعلم ان الله ،

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، اذا السماء [٥] انفطرت ، < انفطرت > بكسر الالف ، لانها الف وصلٍ ، مبنية على الطاء ، في ينفطر ؛

فان قال ، قائل ، بنيتها على الطاء ، والطاء رابعة ، لان ينفطر ، وزنه ينفعل ، فالنون زائدة ، لا يلتفت إليها ، والبناء على عين الفعل ، أين كانت

وتبتدئ ، ايضا ، قوله عز وجل ، الكاذبون [٦] استحوذ ، استحوذ [بكسر] الالف لانها مبنية ، على عين الفعل ، وهي الواو ، في يستحوذ ، يستفعل والتاء والسين زائدة ، لا يلتفت إليها ؛

وتبتدئ ، قوله ، اذا السماء [٧] انشقت ، إنشقت ، بكسر الالف ، لانها الف وصلٍ ، مبنية ، على عين الفعل ، وهي القاف المدغمة ، في تنشق ، تنشقق على وزن تنفعل فاستثقل الجمع ، بين حرفين متحركين من جنس واحد ، واسكنت القاف الأولى ، وادغمت في التي بعدها (فصارتا ، قافا مشدّدة) [الورقة الـ ١٠/ب] والنون ، في تنشق ، زائدة ، لا يُقبل عليها ؛

(١) س ٩ ، ع ٧ ، الآية الـ ٦
(٢) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ٩٣
(٣) س ٩٦ ، الآية الـ ١
(٤) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٤٤
(٥) س ٨٢ ، الآية الـ ١
(٦) س ٥٨ ، ع ٣ ، الآية ١٨ – ١٩
(٧) س ٨٤ ، الآية الـ ١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، [الماء] اهتزّت (١) ، إهتزّت ، بكسر الالف ، لانها ، الف وصل ، مبنيةٌ على عين الفعل « وهي الزاى المدغمة في تهتز ، من قبل ان اصل تهتز ، تهتزِزُ ، على مثل تفتعل ، فاستثقل الجمع بين زايَيْن ، متحركتين (٢) ، فاسكنت الزاى الأولى ، وأدغمت ، في التي بعدها ، والتاء التي في تهتزُّ ، زائدة ، لا يعمل عليها ؛

والف الوصل ، في الماضي ، على مثال ما هي عليه في الامر ، تبنى على العين ، لا غير ، والهمزة الموجودة عند وصل الكلام ، في قوله ، الماء اهتزّت ساقطة .

وتبتدئ ، قوله ، عز وجل ، آمنوا [استعينوا] (٣) ، < استعينوا > بالكسر ، لانها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، وهي الواو ، في نستعين ، قبل ان تقلب ياء ، والاصل في نستعين ، نستعون ، على مثال نستخرج ، فاستثقلت الكسرة ، في الواو ، فألقيت على العين ، وجعلت [الواو] ياء لانكسار الالف ؛

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، وانا اخترتك (٤) ، (اخترتك) (٥) < بالكسر > لانها الف وصل ، مبنيةٌ على عين الفعل ، وهي الياء في يختار ، قبل ان تقلب ألفا ، لان اصله يختيِرُ على مثال يكتِب ، فصارت الياء ، الفا ، لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ،

وان سأل ، سائل ، عن قوله عز وجل ، لقائنا ائت ، بقرآن غير هذا (٦)

(١) س ٢٢ ، ع ١ ، الآية الـ ٥ ، س ٤١ ، ع ٥ ، الآية الـ ٣٩
(٢) الاصل : متحركين
(٣) س ٢ ، ع ١٩ ، الآية الـ ١٥٣
(٤) س ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ١٣
(٥) جاء فوقه « صح »
(٦) س ١٠ ، ع ٢ الآية الـ ١٥

فقال كيف الابتداء [به] فقل ، إئت ، بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية على تاء يأتي ، فان [الورقة الـ ١١/ظ] قال [١] ، قد وجدنا الالفات ، ثابتةً في المستقبل ، وهي احدى علامتي الف (الاصل ، فيقال له) الف الوصل ، داخلةٌ على الف الاصل ، في هـذا الحرف واصله اذا اردت الابتداء به ، إيتوا [٢] ، بالكسر ، فصارت الهمزة الساكنة ، ياء ، لانكسار الف الوصل ، واذا وصلت ، فقلت ، لقاءنا ائت ، سقطت الف الوصل ، الموجودة في الابتداء مكسورةً ، ورجعت الهمزة التي توجد في الابتداء مكسورة ساكنةً ،

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، إطيّرنا [٣] ، بالكسر ، لانها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، المفتوحة ، وهي الياء ، في يطير ، واصله تطيرنا ، فابدلوا من التاء ، طاء ، لانها أشبه بالطاء التي بعدها ، ثم اسكنوها ، وأدغموها ، في الطاء الثانية ، فلم يصلح الابتداء بساكن ، فادخلوا ألفاً ، يقع بها الابتداء ، ومثله ادّاركوا [٤]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبتدئ ، قوله عز وجل ، إني اصطفيتك [٥] ، < اصطفيتك > بالكسر لانها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، وهي الفاء في يصطفي ، ولا تلتفت الى وقوع الفاء رابعةً ، لان الطاء لا يعمل عليها ، من اجل ان اصل الحرف ، يصتفي ، يفتعل من الصفوة ، فابدلت الطاء من التاء ، لانها أشبه بالصاد واخف على اللسان بعدها ، وتاء الافتعال غير معمول عليها ،

(يتبع)

---

(١) مخروم

(٢) لو كان « ائت » لكان أوفق بالسياق ، وهنا وردت تعليقة من كتاب الوقف والابتداء ، استغرقت حاشية الورقة الـ ١١/ظ ثم وردت بقيتها بهامش الورقة الـ ١٠/ب ، وستأتي في آخر الكتاب

(٣) س ٢٧ ، ع ٤ ، الآية الـ ٤٧

(٤) س ٧ ، ع ٤ ، الآية الـ ٣٨

(٥) س ٧ ، ع ١٦ ، الآية الـ ١٤٤

رسالة ابن حزم

في أمهات الخلفاء

تمهيد

ألف ابن حزم القرطبي[1] (المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) في التأريخ كما صنف في الفلسفة والشريعة وعلوم الدين . فما ألفه في التاريخ « جمهرة أنساب

---

(١) انظر عن ابن حزم ما يلي :

آ - من المصادر الأندلسية

الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٩٠ ، رقم ٧٠٨ (نشرة محمد بن تاويت الطنجي)
ابن بشكوال ، الصلة (مدريد ١٨٨٢) رقم ٨٨٨
ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٦٣ (مطبعة السعادة)
ابن بسّام ، الذخيرة ، القسم الأول من المجلد الأول ، ص ١٤٠
ابن صاعد ، طبقات الأمم (المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢) ص ٧٥
ابن سعيد ، المغرب ١ : ٤٤ و ٤٥ (دار المعارف بمصر)

ب - من المصادر المشرقية

ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٣ : ١٣ (ط . محيي الدين)
الذهبي ، سير أعلام النبلاء (مخطوطة أحمد الثالث)
الصفدي ، الوافي بالوفيات (مخطوطة أحمد الثالث)
ابن العماد ، شذرات الذهب ٣ : ٢٩٩

ج - من المصادر الأجنبية

Brockelman, GAL.

Asin Palacios, *Aben Hazem de Cordoba y su historia de las Ideas Religiosas*. Madrid, 1927—1932, 5 vol.

A. Conzalez Palencia, *Historia de la Litteratura Arabigo — Espanõla*.

ترجم بالعربية باسم تاريخ الفكر الأندلسي . انظر ص ٢٢٠ خاصة .

العرب » ، و « بيان فضل الأندلس وذكر علمائه » ، و « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » . وقد نشرت هذه الكتب الثلاثة .

لكنّ كتابه الكبير في التاريخ هو « الإمامة والخلافة ومراتبها » [1] ، وهو كتاب لم نعثر عليه . وكان نُشر لابن حزم منذ عامين كتاب باسم « جوامع السيرة » [2] . وهذا الاسم اخترعه المحققان اللذان حققا الكتاب . وقد أثبت على النسخة المخطوطة التي كنا عثرنا عليها في جامع الزيتونة بتونس « المرتبة الرابعة في نسب رسول الله وسيره ومغازيه وجمل من التاريخ » . وكنا ذكرنا في نقدنا هذه النشرة أن الكتاب هو جزء من كتاب آخر . ونحن نميل الآن الى اعتباره جزءاً من الامامة والخلافة ومراتبها .

هذا ما نعرفه الى الآن عن تواليف ابن حزم في التاريخ .

وقد عثرنا في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على رسالة مخطوطة لابن حزم كتب عليها « الأمهات » [3] . وتقع في ورقتين كانتا ملحقتين بمخطوطة كتاب نقط العروس . ومصدرها مكتبة بايزيد عمومية في استامبول . وهما بخط قديم لعلها من أواخر القرن الخامس .

ولم نستطع أن نعلم هل كانت هاتان الورقتان رسالة خاصة أم باباً من أبواب كتاب آخر ؟ وكيف كان الأمر ، فإنهما تقدّمان لنا نصّاً جديداً من النصوص التي تركها ابن حزم في التاريخ .

ويدور الموضوع فيها حول أسماء أمهات الخلفاء الراشدين ، والأمويين في

---

(١) انظر بلانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٢٠ .

(٢) انظر نقدنا هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الثاني (١٩٥٦) ، ص ١٨٩ - ١٩٣

(٣) انظر فهرس المخطوطات المصوّرة ، (الجزء الثاني ، القسم الثاني من التاريخ) ، رقم ٦٨٢ ، ف ٨٥٣

الشرق ، وبعض الأمويين في الغرب ، وبعض الخلفاء العباسيين [١] .

ونلاحظ أنه وقف عند الطائع في الخلفاء العباسيين . وكان توفي سنة ٤٠٠ هـ . أما الخلفاء الأمويون في الأندلس فلا يذكرهم على الترتيب ، ويقف عند المستكفي .

وتفيدنا هذه الرسالة أنّ أمهات الخلفاء الراشدين ، والأمويين في المشرق كن حرائر ، عدا أم يزيد وابراهيم ابني الوليد . أما العباسيون فأمهاتهم أمهات أولاد ، حاشا السفّاح والمهدي والأمين . أما أمويو الأندلس فما ولي الخلافة منهم مَن أمّه حرّة أصلاً وكان ابن حزم قد ذكر هذه النتيجة في كتابه نقط العروس [٢] .

ونحن نقدم هذه الرسالة بعد أن قابلنا الأسماء الواردة فيها بما ورد في المصادر . وجعلنا بين عضادتين [ ] ما أضفناه منها ، وبينّا في الهامش سني تولية الخلفاء ، ووفياتهم ، لا وفيات أمهاتهم .

ARCHIVE http://Archive...

وهاكم الرسالة :

(١) ألّف في القديم ابن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) رسالة في « أمهات النبي » نشرها حسين علي محفوظ . بغداد ١٣٧٢ هـ .

(٢) انظر نقط العروس لابن حزم . (مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد ١٣ « ١٩٥١ » ص ٨٨)

الأمهات

قال أبو محمد بن حزم :

أمُّ النبيِّ [١] ﷺ آمنةُ بنتُ وَهْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مُرَّة .

وأمّ أبي بكر [٢] ، رضي الله عنه ، أمُّ الخير ، مسلمةٌ فاضلة ، سَلْمى بنت صَخْر بن عمرو بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة .

أمّ عمر [٣] ، رضي الله عنه ، حَنْتَمةُ بنتُ هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة . كافرة .

وأمّ عثمان [٤] ، رضي الله عنه ، أَرْوى بنتُ كرز [٥] بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمّ علي [٦] ، رضي الله عنه ، فاطمة بنتُ أسد بن هاشم بن عبد مناف . مسلمة فاضلة مهاجرة .

أمّ الحسن [٧] ، رضي الله عنه ، فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ ورضي عنها .

(١) توفي سنة ١١ للهجرة
(٢) (١١ - ١٣ / ١٣ هـ)
(٣) (١٣ - ٢٣ / ٢٣ هـ)
(٤) (٢٣ - ٣٥ / ٣٥ هـ)
(٥) في جوامع السيرة « كريز »
(٦) (٣٥ - ٤٠ / ٤٠ هـ)
(٧) (٤٠ - ٤١ / ٤٨ هـ)

أمّ معاوية (١) ، رضي الله عنه ، هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف . مُسلمة مُبايعة .

أمّ يزيد (٢) مَيْسون بنت بَحْدَل الكلبيّة .

أمّ عبد الله بن الزبير (٣) أسماء بنت أبي بكر الصدّيق .

أمّ معاوية بن يزيد (٤) أمّ خالد بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أمّ مروان بن الحكم (٥) الزرقاء الكنانيّة .

أمّ عبد الملك (٦) عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أميّة .

أمّ [الوليد (٧) و] سليمان (٨) ولّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث ابن زُهير بن جذيمة العبسي .

أمّ عمر بن (٩) عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطّاب .

[أمّ يزيد بن عبد الملك (١٠)] عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أمّ هشام (١١) أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

---

(١) (٤١ – ٦٠ / ٦٠ هـ)
(٢) (٦٠ – ٦٤ / ٦٤ هـ)
(٣) (٦٤ – / ٧٣ هـ)
(٤) (٦٤ هـ / ٦٤ هـ)
(٥) (٦٤ – ٦٥هـ / ٦٥ هـ)
(٦) (٦٥ – ٨٦ / ٨٦ هـ)
(٧) (٨٦ – ٩٦ / ٩٦ هـ)
(٨) (٩٦ – ٩٩ / ٩٩ هـ)
(٩) (٩٩ – ١٠١ / ١٠١ هـ)
(١٠) (١٠١ – ١٠٥ / ١٠٥ هـ)
(١١) (١٠٥ – ١٢٥ / ١٢٥ هـ)

[أمّ الوليد بن يزيد [1]] بنت محمد بن يوسف اخي الحجّاج بن يوسف الثقفيّ ٠

[أمّ يزيد بن الوليد [2]] شاهفريد بنت خسرو بن فيروز بن يَزْدَجرْد ابن شَهْرِيار بن كسرى ابرويز ٠

[أمّ ابراهيم بن الوليد [3]] أم ولد لا أقف الآن على اسمها ٠

وأمّ مروان [4] اختُلف فيها ٠ فقيل أم ولد اسمها ريّا ٠ وقيل بنت جعدة ابن كلب من بني عامر بن صَعْصَعَة ٠

أمّ السفّاح [5] رائطة [6] بنت زياد بن عبد الله الحارثي ، من بني الحارث ابن كعب ٠

أمّ المنصور [7] سلامة البربرية من نفزة ٠ وقيل من [صنهاجة] ٠

أمّ المهدي [8] أم موسى بنت منصور الحميري ٠

أمّ الهادي [9] وهارون [10] الخيزرانُ ، مولّدة كوفية ٠

وأمّ الأمين [11] أم جعفر زُبَيْدةُ بنتُ جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور

وأمّ ابراهيم بن المهديّ [12] شكلةُ ، ظفرية ٠

---

(١) (١٢٥ – ١٢٦ / ١٢٦ ه)
(٢) (١٢٦ – ١٢٦ / ١٢٦ ه)
(٣) (١٢٦ – ١٢٦ / ١٢٦ ه)
(٤) (١٢٧ – ١٣٢ / ١٣٢ ه)
(٥) (١٣٢ – ١٣٦ / ١٣٦ ه)
(٦) في مروج الذهب : بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية .
(٧) (١٣٦ – ١٥٨ / ١٥٨ ه)
(٨) (١٠٨ – ١٦٩ / ١٦٩ ه)
(٩) (١٦٩ – ١٧٠ / ١٧٠ ه)
(١٠) (١٧٠ – ١٩٣ / ١٩٣ ه)
(١١) (١٩٣ – ١٩٨ / ١٩٨ ه)
(١٢) (٢٠٢ – ٢٠٣ / ٢٢٤ ه)

ARCHIVE

وأمّ المأمون [١] مَراجِلُ ، روميّة .

وأمّ المعتصم [٢] ماردة ، مولّدة كوفية .

وأم الواثق [٣] قراطيسُ ، رومية .

وأمّ المتوكل [٤] شُجاع ، تركيّة .

وأمّ المنتصر [٥] اسمها حبشية ، روميّة .

وأمّ المستعين [٦] مخارق ، روميّة ، أمُّ ولد . وقيل إنها بنت عُبَيْد من أهل دَوْمَر [٧] قرية بالموصل .

وأمّ المعتز [٨] اسمها قَبيحةُ ، صقلبية .

وأمّ المهتدي [٩] قُرْبُ ، روميّة .

وأمّ المعتمد [١٠] فتيان ، أمّ ولد .

وأمّ المعتضد [١١] ضِرار ، من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .

وأمّ المكتفي [١٢] خاضع [١٣] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) (١٩٨ – ٢١٨ / ٢١٨ هـ)

(٢) (٢١٨ – ٢٢٧ / ٢٢٧ هـ)

(٣) (٢٢٧ – ٢٣٢ / ٢٣٢ هـ)

(٤) (٢٣٢ – ٢٤٧ / ٢٤٧ هـ)

(٥) (٢٤٧ – ٢٤٨ / ٢٤٨ هـ)

(٦) (٢٤٨ – / ٢٥٢ هـ)

(٧) قال ياقوت : قرية قرب صدّين على الفرات . وذكر لي من أعتمد على رأيه أنها قلعة جعبر نفسها أو ربضها (معجم البلدان)

(٨) (٢٥٢ – ٢٥٥ / ٢٥٥ هـ)

(٩) (٢٥٥ – ٢٥٦ / ٢٥٦ هـ)

(١٠) (٢٥٦ – ٢٧٩ / ٢٧٩ هـ)

(١١) (٢٧٩ – ٢٨٩ / ٢٨٩ هـ)

(١٢) (٢٨٩ – ٢٩٤ / ٢٩٤ هـ)

(١٣) كذا في الاصل . وفي الطبري ١١ : ٤٠٤ « جيجك »

وأمّ المقتدر [1] شغب ، أمّ ولد .

وأمّ القاهر [2] قَبول ، أمّ ولد .

وأمّ الراضي [3] ظَلُوم ، أمّ ولد .

وأمّ المتّقي [4] خلوب .

وأمّ المستكفي [5] غُصْن ، أمّ ولد .

وأمّ المطيع [6] شعلة ، من دار العباس بن الحسن .

ولا أدري اسم أم الطائع [7] .

أول أمراء بني أمية بالأندلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأم عبد الرحمن بن معاوية [8] راح ، نفزيّة .

وأم هشام [9] [بن عبد الرحمن] حوراء .

وأم الحكم [10] [بن هشام] زخرف .

وام محمد [11] [بن عبد الرحمن] تهتز .

(١) (٢٩٤ - ٣٢٠/٣٢٠ هـ)
(٢) (٣٢٠ - ٣٢٢/٣٢٢ هـ)
(٣) (٣٢٢ - ٣٢٩/٣٢٩ هـ)
(٤) (٣٢٩ - ٣٣٣/٣٤٣ هـ)
(٥) (٣٣٣ - ٣٣٤/٣٣٩ هـ)
(٦) (٣٣٤ - ٣٦٣/٣٦٣ هـ)
(٧) (٣٦٣ - ٣٨٠/٤٠٠ هـ)
(٨) (١٣٨ - ١٧٢/١٧٢ هـ)
(٩) (١٧٢ - ١٨٠/١٨٠ هـ)
(١٠) (١٨٠ - ٢٠٦/٢٠٦ هـ)
(١١) (٢٣٨ - ٢٧٣/٢٧٣ هـ)

وأم المنذر (١) [بن محمد] أثل .

وأم الناصر (٢) [عبد الرحمن بن محمد] حزم .

وأم الحكم (٣) [بن عبد الرحمن] مرجان .

وأم المهدي (٤) مُزْنة .

وأم سليمان (٥) [بن الحكم] ظَبيَة .

وأم المستظهر (٦) [عبد الرحمن بن هشام] غاية .

وأم المستكفي (٧) [محمد بن عبد الرحمن] حور .

آخره : ولله الحمد والمنة

والصلاة على محمد وآله والسلام

الدكتور صلاح الدين المنجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) (٢٧٣ - ٢٧٥/٢٧٥ هـ)

(٢) (٣٠٠ - ٣٥٠/٣٠٠ هـ)

(٣) (٣٥٠ - ٣٦٦/٣٦٦ هـ)

(٤) هو محمد بن هشام (٣٦٦ - ٤٠٠/٤٠٠ هـ)

(٥) (٤٠٠ و ٤٠٣ - ٤٠٧ هـ) وهو المستعين

(٦) (٤١٤ - / ٤١٤ هـ)

(٧) (٤١٤ - ٤١٥/٤١٨ هـ)

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٢ -

وأما الهَرَعُ فقد وافقت اللجنة على استعمال هذه اللفظة للعلة النفسية المعروفة بالهيستريا (Hystérie) بينما الهَرَع لغة الإسراع (١) في جانب المعاني الأخرى الكثيرة التي تختلف عن مدلول الهيستريا ، وهي العلة المديدة المظاهر والتي مردها إلى شواش نفساني ، مما يجعلها بعيدة كل البعد عن مدلول الهَرَع اللغوي ، فضلاً عن أن لفظة هيستريا قد أصبحت أممية دارجة في معظم اللغات الحية .

إن ما تقدم من الملحوظات لا ينقص أبداً من قيمة هذا السفر الجليل إذ لا نزال في مضمار المصطلحات العلمية في طور البحث والتنقيب واختيار الأفضل ، ولكل مشتغل باحث فيه ذوقه إلى جانب اجتهاده ، وما سآتي على ذكره فيما يلي

---

(١) في اللسان : الهَرَعُ والهُراع والإهراع شدة السوق وسرعة العَدْو ، وأُهرع الرجلُ خف وأرعد من سرعة وخوف أو حرص أو غضب أو حمى ، الى أن قال أهرع الرجلُ إهراعاً إذا أتاك وهو يرعَد من البرد ، وقد يكون مُهرَعاً من الحمى والغضب ، وقوله تعالى : « وهم على آثارهم يُهْرَعون » أي يسعَون عجالاً . ورجل هَيرع سريع المشي وهَيرعٌ أيضاً سريع البكاء ، والمهروع المجنون الذي يصرع يقال وهو مَهْروع مخفوس ممسوس والخ .

من المستدركات بعضها شخصي سبق لي أن استعمله في كتبي ودروسي وبعضها الآخر مما توصلت اليه مؤخراً وإن لم يتح لي بعدُ اثباته .

وقد أحسنت اللجنة صنعاً باستدراكها تصويب بعض الأخطاء الواردة في المعجم فأثبتت الصواب في جدول قدمته على متن المعجم ، وعلى الباحث عن إحدى الكلمات أن ينتبه الى ذلك إبان بحثه عن ترجمتها .

رأيي في مصطلحات المعجم

أدرج فيما يلي رأيي الخاص في مفردات المعجم حسب ما جاء في أرقام المصطلحات وترتيبها على الحروف الفرنجية .

حرف A

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقم المصطلح		رقم المصطلح
٥	محفظة الشِدْق ، خد مدلّى	5 Abajoue; Bajoue; joue pendante

جاء في الترجمة الانكليزية لكلمة (Abajoue) وما يليها (Cheek pouch) (جيب الخد) وفي الألمانية (Backentasche) (جيب الخد) و (Hange-backe) (الخد المعلّق أو المدلّى) وفي اللاطينية (Sacculus buccalis) جُرَيب الفم .

وما يقصد من (Abajoue) و (Bajoue) كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين : جيب يتكون من أثناء الغشاء المخاطي من جانبي الفم في بعض الحيوانات (القِرَدة ومجنَّحات الأيدي[1]) . الخد الضخم والمدلّى . وذكر

(١) معجم المصطلحات الزراعية ترجمة (Chiloptères) .

أن هذه الجيوب تتخذ مداخر للأغذية قبل أكلها وأنها في الخفافيش تهون الطيران بسماحها بدخول الهواء في النسيج الخلوي تحت الجلد .

هذا والشِدْق جانب الفم ، والكلمتان الأولى والثانية يقصد منها جوف الخد أو جُرَيب الفم ومجازاً الخد المدلّى (Joue pendante) والأفضل المَجَّج فقد جاء في المخصص المَجَّج استرخاء الشدقين نحو ما يعرض للشيخ اذا هرم .

٧ أَين (عدم القدرة على المشي) قُعاد Abasie 7

ان المدلول اللغوي للفظ الفرنجي هو فقد المشي . أما المدلول العلمي فتطلق اللفظة على حالة مرضية تصاحب في الغالب بعض الاضطرابات النفسانية ، ولا يشترط فيها أن يكون المصاب مشلولاً أو ذا زمانة أو علة عضوية . وما يلاحظ آنذاك أن العليل باستطاعته أن يحرك طرفيه السفليين تحريكاً صحيحاً إلا أنه ليس بوسعه أن يخطو بها وهو مع ذلك يستطيع الوقوف . واذا ترافقت الحال بعدم الوقوف دُعيت (Astasie - abasie) .

الأَين لغة الإعياء والتعب ، والقُعاد الداء الذي يُقعِد ، ورجل مُقعَد اذا ازمنه داء في جسده حتى لا حراك به . مما يبعد هذين اللفظين الأين والقُعاد عن مدلول الكلمة المذكورة ، وعدم القدرة على المشي (وقد جاء بين هلالين) تعبير صحيح إلا أنه يتألف من أربع كلمات ، وأفضل منه ما وضعه مجمع اللغة العربية وهو امتناع الخطو ، وليس ما يمنع أن نختصر أكثر من ذلك لنقول : لا خطو .

٨ سُلابة (عُفاشة الأحشاء) Abats 8

لم أعثر على كلمة سُلابة في المعجمات التي توصلت الى مراجعتها ، وما أجمعت عليه المراجع التي فتشت فيها عن هذه الكلمة ما جاء في لسان العرب والقاموس : سَلَبُ الذبيحة إهابها وأكراعها وبطنها . واللفظ الفرنجي (Abats) لا يشمل

الإهاب (الجلد) ويفهم الكوارع والأكباد والأطحلة والأدمغة والقلوب والرئات . وقد سبق للرازي أن أطلق على هذه الأجزاء أعضاء الحيوان [١]، والمجوسي صاحب كامل الصناعة أحشاء المواشي ، وكلاهما مفضَّل على سَلَب غير الدارجة ، فضلاً عن أن هذه الكلمة القاموسية لا تدل على المعنى المذكور تماماً . أما عفاشة الأحشاء فلم أعثر عليها في المعجمات [٢] .

10 Abattu, ue — ١٠ خامد ضعيف

وفي الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (dejected; depressed low-spirited) والأفضل أن يقال خائر فقد جاء في اللسان الخوَر الضعف وخارَ الرجلُ فهو خائر .

خَمَدَت النار تخمُد خُموداً سكن لهبها ولم يُطفأ جمرها ، وخَمَدَت هموداً إذا أُطفئ جمرُها البتة . وأخمد فلانٌ ناره ، وقوم خامدون لا تسمع لهم حساً ومن ذلك في التنزيل العزيز : « إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » ، قال الزجاج : فاذا هم ساكنون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرَّماد ، والخامد الهامد . وقال أيضاً وخَمِدَ المريض أُغمي عليه أو ماتَ .

11 Aboxial,ale — ١١ بَعيد عن المحور

أو مجانب المحور وصوابه (Abaxial) غلط مطبعي لم يصوب .

12 Abcéder — ١٢ تقصع

---

(١) الصفحة ٢٦ من منافع الأغذية ودفع مضارها لابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٥ من الهجرة ، وشمل أعضاء الحيوان : الرؤوس والأكارع والبطن والأكباد والأطحلة والكلى والرئات والقلوب والأدمغة والقاخ والشحوم واللحوم .

(٢) ولعلها (عفاجة) بالجيم المعجمة ، وهي من العفج ، قال الليث : العفج من أسماء البطن لكل ما لا يجتر ، والجمع أعفاج . (لجنة المجلة)

ومدلول الكلمة الفرنجية هو التحول الى خراج . وتقصّع الدمل بالصديد اذا امتلأ منه، وقصّع مثله (اللسان)، وعندي أن لسنا بحاجة الى هذه الكلمة القاموسية الجديدة والاكتفاء بتقيح أو أصدأ[1] اذا درجنا على استعمال الصديد .

16	Abcès par congestion ou ossifluent	خراج عظمي المنشأ	١٦

والترجمة يجب أن تكون خراج بالاحتقان أو من منشأ عظمي .

17	Abcès extradural	خراج في ظاهر الأمجافية	١٧

وأرى أن تبقى الأم الجافية ولا حاجة هنا الى الدغم .

19	Abcès froid	خراج بارد ، لاطئة	١٩

قد تدل اللاطئة على الخراج البارد ولا أرى حاجة الى هذه الكلمة الجديدة القاموسية لأنه جاء في اللسان اللاطئة خراج يخرج بالانسان لا يكاد يبرأ منه ويزعمون أنه من لسع الشبثان (العنكبوت) .

35	Aberrant, te; v. dévié	منحرف انظر حائد	٣٥

المشهور عن (Aberrant) تائه و (dévié) حائد .

55	Absinthe	إفسَنْتِ	٥٥

كذا جاءت اللفظة بشكلها الكامل وأكبر الظن أنه خطأ مطبعي لم ينتبه الى تصويبه لأن المعروف هو أفسنت بالفتح، وجاء ضبطها في معجم المصطلحات الزراعية أفسَنْت .

59	Abstinence	انقطاع ، انكفاف	٥٩

والأفضل الامتناع .

---

(١) جاء في اللغة : أصدأه جعله صدئاً ، وأصدأ الجرح قيّح أو سال صديده فلعل الهمزة الأخيرة زائدة . (لجنة المجلة)

62 Acapnie نقص تفحمن الدم ٦٢

ويقصد منه نقص حمض الكربون من الدم ، وأرى الفحم غير الكربون ، هذا ما ذهب اليه مجمع اللغة العربية أيضاً ٠

69 Accentuation des bruits cardiaques اشتداد أصوات القلب ٦٩

والأفضل أن يقال (اشتداد دَقي القلب) ، وذلك لأن للقلب دقتين لا ثلاث دقات كما يفهم من صيغة الجمع الواردة في أصوات ٠ ودقة القلب خير من صوته ٠

73 Accès émotif épileptique نوبة اضطرابية صرعية ٧٣

أرى الأفضل أن يقال : (نوبة انفعالية صرعية) فلفظة (Emotion) يقابلها الانفعال وهي كلة مولّدة ودارجة في المصطلحات الفلسفية ، وينبغي أن يقتصر في كلة اضطراب على (Trouble) شأن مافعلته اللجنة في ترجمة الكلة الفرنجية المذكورة (المصطلح ذو الرقم ١٣٧٦٠)

74 Accès de fureur نوبة حَنَق ٧٤

أرجح أن يقال (سورة الغضب) أو (التهيج) حسب اختلاف دلالة كلة (fureur) إذ الكلة الأخيرة يغلب استعمالها في الحيوان ٠ وكذلك يمكن أن يقال حمياً الغضب وسورة التهيج (في الحيوان) ولسنا ملزمين بترجمة (Accès) بنوبة دوماً ٠

75 Accèe de folie furieuse, frénésie نوبة جنون شديد ، هذيان عَرَض ٧٥

وأرجح هنا أن يقال (ثورة جنون سَبُعي) ، ولم أهتد الى مدلول هذيان عَرَض ولم أرَ تصويباً لهذه اللفظة في الجدول ٠ والجنون السبعي مصطلح استعمله أطباء العرب في معظم كتبهم ٠

86 Accident du travail طارئ العمل ٨٦

وأرجح أن يقال إصابة العمل .

99 Accouchement gémellaire ولادة توأم ٩٩

والأفضل ان تستعمل كلمة واحدة وهي (إتآم) ، ففي اللسان أتأمت المرأة اذا ولدت اثنين في بطن واحد .

107 Accouchement à terme ولادة بالميعاد ١٠٧

أرجح أن يقال (ولادة لتَمام وتِمام) .

وأتمّت المرأة وهي متم دنا وِلادها ، وأتمّت الحبلى فهي متم اذا تم أيام حملها ، ويقال امرأة متم للحامل اذا شارفت الوَضْع وولَد المولودُ لتَمام وتِمام (اللسان) .

108 Accouchement après terme ولادة بعد الميعاد ١٠٨

ويُعرف هذا النوع من الولادة بـ (الجرّ) ، فقد جاء في اللسان : وَجرّت المرأةُ ولدَها جَراً وجرّت به وهو أن يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها بأربعة أيام أو ثلاثة فينضجُ ويتم في الرحم . والجرّ أن تجر الناقة ولدَها بعد تمام السنة شهراً أو شهرين أو أربعين يوماً فقط . والجرور من الحوامل وفي المحكم من الإبل التي تجر ولدها الى أقصى الغاية أو تجاوزها .

119 Accumulateur مُدّخِرة ١١٩

120 Accumulation ادخار ، خَزْن ، تَجْمِيع ١٢٠

Stockage, emmagasinage

121 Accumuler ادّخر ، جمع ، خزن ١٢١

لقد أقر مجمع اللغة العربيـة (المِرْكم) لِـ (Accumulateur) وكذلك أرْكم ورَكَمَ .

فقد جاء في اللسان أركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله رُكاماً مركوماً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض ، ركم الشيء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض وهو مركوم بعضه من بعض وارتكم الشيء وتراكم اذا اجتمع .

فالأفضل أن تستعمل كلمة (المركم) وهي أخف من المذخرة التي سبق للمرحوم الأستاذ جميل الخاني ان استعملها .

١١٧ انعدام الصفراء Acholie 137

وأرجح أن يقال عدم الصفراء أو فقدها .

سبق للأستاذ خاطر أن نبه كاتب هذه السطور سنة ١٩٣٥ عندما استعمل كلمة انعدام في الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة ، نبهه الى خطأ استعمالها بأن ليس لمصدر عدم مطاوع انعدام ، وقد شكرته على هذا التنبيه ولم أستعملها منذ ذاك الحين ، ولا أظن الأمر قد تغير الآن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥١ حَمْضِين Acide aminé 151

والأفضل أن يقال حمض أميني .

١٦٧ حمض الفحم Acide carbonique 167

وأرجح حمض الكربون .

١٧٣ حمض السنامكي Acide chrysophanique 173

وأرجح حمض كريزوفان أو الحمض الكريزوفاني باعتباره من الحموض التركيبية ، وليس سنامكي وحده يحويه بل ان عدة نباتات تشاطره في ذلك ولا سيما الراوند الذي يحتوي عليه أكثر من سنامكي .

١٨٠ حمض الصفراء المُخَفْسَج Acide déhydrocholique 180

(المخسوف الهيدروجين) dycholium

وأفضل منه أن يقال حمض ديهيدروكولي لاسيما وقد تقدم في الأنظمة

ذات الرقم ١٧١ استعمال حمض كولالي (Acide cholalique) وحمض كوليك وكولاليك كلاهما حمض الصفراء .

١٨٤ حمض الفولي (حمض ورق الاسفاناخ) Acide folique 184

بتهروئيل غلوتاميك Pteroylglutamique

والأفضل في هذا الحمض وأضرابه أن تعرب باللفظ الأفرنجي فيقال حمض الفوليك لأن الفولي قد يلتبس بألفاظ عربية تشابهه . وهذا الحمض وان بدا في الورق من أكثر النباتات فليس خاصاً بهـا إذ يبدو في الكبد وفي خميرة الجعة بكمية وافرة .

١٨٥ حمض النمل(١) Acide formique 185

وأرى تعريبه بقولنا حمض الفورميك وهذا ما جنح اليه مجمع اللغة العربية .

٢٠٠ حمض التبغ، طليعة الحَيَمين ب ب Acide nicotinique 200

Provitamine P P

وأرى التعريب بالنسبة لحمض فيقال حمض النيكوتينيك أما الحَيَمين فما لا شك فيه أن كلمة الفيتامين الأممية و P P أفضل من ب ب في هذا المجال، فيقال (طليعة الفيتامين P P) .

٢١٦ حمض الحِصْرِم الناري Acide pyruvique 216

ان هذا الحمض من الحموض التي تحضر بطريقة التركيب ، وتتراكم في البدن من جراء عَوَز الفيتامين B ولا أظن أن له أي صلة بالحِصْرِم ولا بالنار ، وأرى تعريبه فيقال حمض بيروفيك .

٢١٧ حمض الوَرْدي Acide rosolique 217

الأرجح اذا لم يعرَّب (والتعريب أفضل) أن يدعى بالحمض الورْدي أو

(١) (حمض النمل) أولى ، لأن لفظة Formique منسوبة الى Fourmi النملة ، فتكون لي (حمض النمل) حذونا حذو اللغة الفرنسية . (لجنة المجلة)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرجاني أو الذهبي وذلك لأن لونه أصفر ضارب الى الحمرة مع لمعان أخضر لذا يعرف بـ (Aurin) و (Corallin)[1] أيضاً .

٢٤٣ أوج ، اشتداد المرض Acmé, Fastigium 242

دور الصولة Période d'état

في اللسان (البُرَحاء) الشدة والمشقة وخص بعضهم به شدة الحمى وبُرَحايا في هذا المعنى ، وبُرَحاء الحمى وغيرها شدة الأذى ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البُرَحاء .

وقد درجت في مؤلفاتي[2] على إطلاق بُرَحاء الحمى لـ (Acmé thermique) ، كما درجت على إطلاق طور التوقف على (Période d'état) وطور الصولة على (Période d'invasion) .

٢٦٤ كلثمة ، ضخامة الأطراف ، عَبَل Acromégalie 264

وأقر مجمع اللغة (قرواحية) كِبَر الأطراف .

ويُقصد من هذا اللفظ الحالة المرضية الناجمة عن آفة في الغدة النخامية والبادية بغلظ نهايات الأطراف والأنف والذقن وما الى ذلك من الأجزاء النائتة فهي حريّة بأن تدعى (ضخامة النهايات) لا الأطراف .

أما الكلثمة فقد جاء في اللسان اجتماع لحم الوجه ، وجارية مكلثمة حسنة دوائر الوجه ، ذات وجنتين فاتتها سهولة الخدين ولم تلزمها جُهومة القبح ، ووجه مُكلثم مستدير كثير اللحم وفيه كالجوز من اللحم .

وأما العَبَل في اللسان أيضاً الوَرَق الساقط والهَدَبُ وكل ورق مفتول غير منبسط . كما أن العَبْل في اللسان : الضخم من كل شيء ، والأنثى عَبـلة

(١) معجم بلاكستون Blakiston 's في مادة (Rosolic acid) .

(٢) الصفحتان ٨٥ و ٦٠٩ من الجزء الثاني لعلم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٦ .

إلى أن قال وامرأة عَبَنَّة اي تامة الخلق ، مما يبعد العَبْل والعَبَل عن المعنى المقصود (Acromégalie) .

وأما القرواحية فلم أهتد الى اشتقاقها ولا الى معناها ، وكِبَر الأطراف لا يعني الضخامة .

308 Acyle (radical) حَمضيل (جذر) ٣٠٨

وأرجح التعريب فأقول أسيل .

310 Adaptation, ajustement Accomodation توفيق ، توافق ٣١٠

التوافق لغة الاتفاق والتظاهر ، وَفَّق الشيء مالازمه ، وقد وافقه موافقة ووفاقاً ، واتفق معه وتوافقا . إلا أنه مما جد في استعمال (Adaptation) ما يدل على التكيف والتطبع (١) شأن ما يكون في تناذر التطبع (Syndrome d'adaptation) الذي نبه اليه سلي (Sely) والذي يمتاز بحدوث ظواهر جديدة في البدن من شأنها أن تدعم كفاحه حيال ما أصابه من مصيبة (Stress) ميكانيكية كانت أو أحيائية أو نفسانية .

311 Addiction, Asservissement à l'usage d'une drogue استرقاق العلاج ٣١١

استحواذ العلاج

وأرجح تَيم العلاج ، ففي اللسان التَيم أن يستعبده الهوى وذهاب العقل من الهوى ، ورجل متيم ، وقيل التَيم ذهاب العقل وفساده . والمعنى الأصلي للفظ يساعد على نقله الى معنى الاسترقاق في المصطلح المذكور .

318 Adénoïdisme تظاهرات نظيرة الغدة ٣١٨

وقد دعاها مجمع اللغة (الغُدانية) وهذه أفضل .

(١) في القاموس تطبع بطباعه تخلق باخلاقه وفي الأساس وهو متطبع بكذا .

324 Adéquat, te تام ، مُعادل ٣٢٤

وتأتي بمعنى مطابق وموافق أيضاً .

365 Aérotropisme انحراف للهواء ٣٦٥

أرجع ترجمة الكلمة (Tropisme) بميل تاركاً انحراف إلى (déviation) فأقول (الميل الى الهواء) .

366 Afébrile بلاحُمَّى ، إقلاعي ٣٦٦

والأفضل أن يقال لا حُمّوي أما (الإقلاع) فهو طور أخذ الحمى بالهبوط ويخصص لـ (Défervescence) وقد فعلت اللجنة كذلك في هـذه اللفظة ذات الرقم ٣٨٥٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

367 Affaibli, e مُضعَف ، مضعوف ٣٦٧

وكذلك منهوك فانها تفي بالمقصود أيضاً .

370 Affaiblissement de l'ouie ضَعف السمع ٣٧٠

وهو (الوَقر) . ففي فقه اللغة ذكر الثعالبي في ترتيب الصَمَم : يقال بأذنه وَقر فاذا زاد فهو صَمَم . وفي اللسان الوَقر ثقل في الأذن .

374 Affection d'origine allergique آفة تجاوُبية المنشأ ٣٧٤

وأرجح أن يقال آفة آليرجيائيــة المنشأ وسأعود الى الشرح في لفظة (Allergie) ذات الرقم ٥٢٨ .

376 Affectivité, sensibilité انفعالية ، إحساس ٣٧٦

عاطفة وعاطفية (مجمع اللغة) ، وانفعالية يرجح أن تكون ترجمة لـ (Emotivité) شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة ذات الرقم ٤٨١٧ .

377 Afférent, ente; centripète وارد ، جَبَذان ٣٧٧

ان (وارد) لفظة أقرها مجمع اللغة أما جبذان في اللسان جبذ لغة في جذب ، وأقر المجمع لفظ (Centripète) جاذبة الى المركز .

379 Affluence, Afflux فيض ، وَفْر ٣٧٩

أرجح أن يقال الحَشْد والاحتشاد ثم البَيْغ لكلمة (Afflux) فقد جاء في اللسان البَيْغ توقد الدم حتى يظهرَ في العروق وهو ما يفيد معنى هذه اللفظة تماماً .

380 Afflux cathodique ورود الى القطب السلبي ٣٨٠

وأرجح هنا التوجه أو الاتجاه الى القطب السلبي .

381 Afflux sanguin ورود الدم ، هجوم الدم ٣٨١

وهو البيغ على نحو ما تقدم في ٣٧٩ .

390 Agénésie ou atrophie congénitale عِنانة ، نقص أعضاء الجنين ولادة ٣٩٠

ARCHIVE Archivebeta.Sakhrit.com

المقصود من (Agénésie) هو عدم التكوّن أو النمو أو فقدهما و (Atrophie congénitale) أي الضمور الولادي أو الخلقي وهو أن يضمر أحد الأعضاء في الحياة الجنينية فيأتي الوليد والعضو ضامراً . وقد أقر مجمع اللغة عدم النمو أو قصوره في ترجمة كلمة (Agénésie) .

أما العِنانة فاذا كانت بالكسر كما جاءت بالرسم المبين أعلاه فهي سير اللجام الذي تمسك به الدابة واذا كانت بالفتح فهي السحابة أو العُنّة اسم من العنّين . وكلتاهما لا تفيد المعنى المطلوب والضمور الولادي أو الخلقي أراه افضل من نقص أعضاء الجنين ولادة .

414 Agoraphobie خوف من الفضاء ٤١٤

وقد أقر مجمع اللغة العربية رُهبة الخلاء وهذه أفضل .

٤١٦ غيبة الكريضات المحببة Agranulocytose ,aneutrophilie 416
غيبة المعتدلات ، نقص الكريضات granulocytopénie
الحبيث .

وقد أقر مجمع اللغة انعدام منشكلة النوى وأفضل أن يقال في ترجمة هذه المصطلحات فقد الكريات المحبَّبة ، فقد المعتدلات ، نقص الكريات المحبَّبة .

٤٢١ تسبيخ هَذَياني Agrypnode 421

إن معنى (Agrypnode) هو المؤرق وكذلك (Agrypnotique) لأن (Agrypnie) هو الأرق .

أما التسبيخ فقد قال عنه صاحب فقه اللغة أشد النوم ، وفي اللسان التسبيخ النوم الشديد ، أما الهذياني فلا أظنه إلا زائداً .

٤٣٤ أجنحة الحُرْقفة Ailes iliaques 434

والأصح أن يقال جناحا الحُرقفة لأنها اثنان لا ثالث لها .

٤٣٥ أجنحة الأنف ، خنابتاه Ailes du nez 435

وأقر مجمع اللغة غرضا الأنف[1] ، واذا جاز استعمال جناح في هذا المعنى فهما جناحان ، أما الخنابتان فالأحسن تخصيصها بالحرقين ، أي الفوهتين كما جاء في اللسان .

٤٣٦ أجنحة العظم الوتدي Ailes de l'os sphénoïde 436
(الكبيرة) (Grandes)

وهما جناحان لا ثلاثة .

(١) في اللسان : والفرضان من الفَرَس ما انحدر من قصبة الأنف من جانبيها وليا عرق البُهر . وقال أبو عبيدة في الأنف فرضان وهما ما انحدر من قصبة الأنف من جانبيه جميعاً .

٤٣٧ جنيحات العظم الوتدي Ailes de l'os sphénoïde (Petite) 437

وهما جُنَيْحان أيضاً .

٤٤٥ فضاء ، سطح ، محيط Aire, région, zone 445

وأرجح أن يقال بُقعة ، ناحية ، مِنطَقة .

٤٤٦ سطح الصَمَم Aire de matité 446

بُقْعة الصَمَم أو باحته (مجمع اللغة) .

٤٨٢ غَوْلي Alcoolique 482

٤٨٣ إنسمام غولي، أتبلية، ادمان السكر ، عَلَه Alcoolisme, éthylisme ivrognérie 483

أرجع الكلمة غولي (Alcoolique) وهي نسبة الى الغول وقد تستعمل بهذا المعنى كما انه يعنى بها السِّكِّير أو خِمِّير وهو شرِّيب الخمر دائماً (اللسان) أما الانسمام الغولي فمن الجائز أن ندعوه بالغَوْلية نظير الاَتبلية ، وأما إدمان السكر والعَلَه فقد جاء في اللسان الخُمار بقية السكر تقول منه رجل خَمِرٌ أي في عَقِب خمار ورجل مخمور به خمار ، أما العَلَه فكما جاء في اللسان أيضاً خبث النفس وضعفها وهو أيضاً أذى الخمار . لذا أرجح الخُمار لـ (Ivrognérie) .

٤٨٩ حَصَر ، عمى نُطقي ، عِي Alexie, cécité verbale 489

لم تكن كلمة حَصَر في أصل المتن من المعجم بل أضيفت مع ما أضافته اللجنة في كلمات جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم .

والحَصَر كما جاء في اللسان ضَرْب من العي حَصِر الرجل حَصَراً فهو حَصِر عَيِّ في منطقه وقيل حَصِرَ لم يقدر على الكلام .

أقول إن معنى (Alexie) هو عدم امكان فهم الكلمات والآراء المرسومة

كتابة ، لذا ترجمتها بفقد القراءة[١] و (Cécité verbale) هو عمى الكلام لا النطق ، ويراد من هذا ان العليل المصاب بهذه العاهة يكون صحيح البَصَر إلا أنه لا يفقه ولا يفهم مدلول الكلمات المكتوبة ، لآفة في الدماغ أصابت المركز الموكول اليه إدراك معنى الكلمات المكتوبة أو المطبوعة .

وأقر مجمع اللغة مقابل كلمة (Alexia) (عَمَه المكتوبات) وأراه تعبيراً حسناً لأن العَمَه لغة التحير والتردد ، وقيل العَمَه في البصيرة كالعمى في البصر . وأنا أطلق العَمَه على ما يقابل (Agnosie) (وقد أقرها مجمع اللغة) مرجحاً لِـ (Alexie) فقد القراءة . ولم يأت ذكر كلمة (Agnosie) بين ألفاظ معجم مصطلحاتنا الطبية الكثير الهنات .

496 Aliénation انجذاب ، انجذاب نفساني ٤٩٦
Aliénation mentale

لم أعثر على استعمال الانجذاب في هذا المعنى في كتب الطب القديمة التي اطلعت عليها ولا في كتب اللغة ، وأغلب الظن أنها من الكلمات المولدة أو العامية ، وربما رجعت في الأصل الى تأويل وهمي . وأرى الأفضل أن تترجم بالمس أو الجنون أو خلل العقل لا سيما اننا بحاجة الى كلمة انجذاب في مواطن أخرى وأفضل أن تكون النسبة الى (Mentale) : عقلي أو ذِهْني .

498 Aliénation maniaque dépressive انجذاب هوَسي معيٍ ٤٩٨

في اللسان الهَوَس طرف من الجنون . وفي القانون وغيره من كتب الطب العربية القديمة تعريب لكلمة (Manie) د : المانيا ويرادفها الجنون السَبُعي . والاعياء التعب الشديد و (Dépression) الهمود . والمراد من هذا المصطلح

(١) الصفحة ٥٨٢ من الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥ .

حالة مرضية نفسية يتراوح الأمر في المصاب بهـا بين الطَيْش والهمود ، وتتناوب في هاتين الحالتين ، لذا أرجح أن يقال فيها (الجنون السبعي الهمودي) (أو الخَبَلي) أو مانيا همودية .

٤٩٩ مجذوب 499 Alniéé

لقد تقدم تفضيلي كلمة مجنون .

٥٠٦ تغذية عن غير طريق الهضم 506 Alimentation parentérale

وأرجح أن يقال مجانبة الهضم . ففي القاموس جانب متعقباً وجانبه مجانبة وجناباً صار الى جنبه وباعده ، ضد . وعليه فلفظة مجانب تفيد المعنى المطلوب سواء عُني بها في جنب الهضم أو بعيداً عنه ، ولا أظن إلا أن كلمة واحدة دارجة خير من ثلاث .

٥١٣ أغذية مُصَخّمة 513 Aliments de lest

وأرجح أن يقال أغذية الملء . إذ المقصود من كلمـة (lest) هي المواد الثقيلة التي يلقى بها في أسفل البواخر والسفن [١] والمناطيد لحفظ التوازن فيها (Larousse) . والمقصود هنا من هذا النوع من الأغذية هي التي تؤكل لكي تشغل حيّزاً في المعدة أو الأمعاء من شأنه أن يبطل حس الجوع من المعدة أو يُحرّض حركة التمعّي في الأمعاء ومنه تهوينه إفراغ ما فيها ، هذا ما يدعى بالانكليزية (Bulkage) [٢] شأن الحال في بعض المواد الغرائية التي تنتفخ ويصبح حجمها أضعاف ما كان عليه إثر تماسها الماء أو عصارة المعدة والمعي . وفي القاموس الملء الكِظة من كثرة الأكل .

(١) وهذه الأثقال تسمى في العربية (الصابورة) فقد جاء في تعريفها : ما يوضع في باطن المركب من الثقل ليثقل ولا يميل الى جانبيه . (لجنة المجلة)

(٢) تراجع هذه الكلمة في (Dorland, The American illustrated medical dictionary)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥١٤ أغذية مولدة للقُدْرة ، أغذية أيدية Aliments énergétiques 514

أو مولدة للطاقة وأرجح أن تخصص أيدية لمقوية (Tonique) .

٥١٥ أغذية ادخارية Aliments d'epargnes 515

مواد ادخارية Antiderpediteurs dynamophores, substancs d'epargne

وهذان اللفظان لأجل المصطلحين الأول والأخير ، وأهملت اللجنة ترجمة اللفظين الثاني والثالث .

إن المقصود من هذه الأغذية هي بعض المواد (كالقهوة والشاي والكولة والكوكة والماته Maté والفول وسرق الحم) عندما توهم بعض الباحثين أن احتساء قليل منها من شأنه أن يساعد البدن في الإتيان(١) ببعض العمل ، ولو كان بحالة الحرمان دون أي غذاء آخر ، ذاهبين الى أن من خواص هذه المواد أن تبعث النشاط في العمل العضلي ، وفي الطاقة عامة ، منقصة ما تصرف العضلة من طاقة . إلا ان الأثر المزعوم لما يثبت في معظم تلك المواد ، ماعدا الفول الذي يبدو له بعض الأثر الغذائي لاحتراقه في البدن بنسبة (٩٠ — ٩٥ ٪) وان ما ينشأ من الطاقة إبان هذا الاحتراق يحول دون استهلاك الأغذية وصرفها ، ومنه العمل الاقتصادي لهذا الاحتراق لتجنيب البدن الرجوع الى ما يحويه من مواد غذائية ، وذلك بنسبة ما يوازي ما نشره الفول من حرارة .

وأرى لو جاز لنا استعمال الكلمة المولَّدة (توفير) لكان أفضل ما ندعو به هذه المواد هو (أغذية التوفير) ، وإلا فمن الجائز أن نقول أغذية الاقتصاد أما (الأغذية الادخارية) فأخشى أن يفهم منها الأغذية التي تدّخر في البدن ، وأغذية الدخر تكون أقل التباساً من الأغذية الادخارية .

(١) فلسفة الطب لكاتب هذه السطور الصفحة ٢٣٤ من الطبعة الثانية ١٩٤٥ .

أما (Antidéperditeurs) فترجمتها مضادات الضياع (باعتبار ان هذا النوع من المواد يحول دون ضياع الأغذية الحقيقية المدّخرة في البدن) وأما (dynamophores) فمعناها الباعثة على النشاط أو المنشطة أو المحرضة للديناميكية (بعد أن عرَّب مجمع اللغة كلمة ديناميك).

522 Allantoïde وَشيقة ، مَضيدَة ٥٢٢

(Allantoïde) أحد أغشية الجنين ، وقد جاء في مصطلحات علم التشريح التي أقرها مجمع اللغة الغشاء اللانفانقي مقابل (Allantoïc membrane) واقترح المرحوم الأب أنستاس الكرملي تسميته باللفائفي (الجزء الثالث من مجلة مجمع اللغة العربية). أما الوشيقة فقد جاء في اللسان: الوَشيق والوشيقة لحم يُغلى في ماء ملح ثم يرفع وقيل يُقدّد ويحمل في الأسفار وهي أبقى قديد يكون. وأما المَضيدة [1] فلم أعثر عليها في المعاجم التي راجعتها. وعليه فاني أفضل كلة اللفائفي في ترجمة (Allantoïde) ولا أظنها إلا مولدة.

527 Allergène, corps antigénique باعثة التجاوب ، مُكوِّنة الضد ٥٢٧

528 Allergie alimentaire تجاوب غذائي ٥٢٨

الآليرجيا: حالة خاصة تبدو في بعض الناس وأقر مجمع اللغة كلمة تحسّاس ترجمة لها ، وأنا أفضل تعريب هذه اللفظة بقولي آليرجيا والنسبة اليها آليرجياني واذا شئت آليرجياوي ، وظهورها في بعض الناس انما يكون بسائق التأهب السابق والاستعداد ، أما التجاوب فحريٌّ به أن يكون شاملاً الجميع لاعتباره ارتكاساً لكل مؤثر ، وليس الأمر كذلك في الآليرجيا. وأما (التحسّاس) فأفضل أن تخصص لـ (Hypersensibilité) عوضاً عن فرط الاحساس.

(١) ان ما جاء في اللسان والتاج: المَضْد لغة في مَخْد الرأس يمانية ، تَمَضّد وتَمَضّد اذا جمع.

539 Altéré, ée qui a soif سَهِيف ؛ صادٍ ، صدٍ ٥٣٩

(Altéré) في الفرنسية و (Thirsty) في الانكليزية و (Durstig) في الألمانية معنى كل ذلك عَطْشان أو عَطِشٌ . أما السَّهَف فهو شدة العطش كما جاء في المخصص وفي اللسان السَّهَف والسُّهاف شدة العطش سَهِف سَهَفاً ورجل ساهفٌ ومسهوف عطشان ولم أعثر على استعمال السَّهِيف . وأنا مع اللجنة في تخصيص كلمة سُهاف وسَهَف ترجمة لكلمة (Polydipsie) شأنها في رقم المصطلح ١٠٦١٨ وأن يقتصر هنا على عطشان أو عَطِش . وأما الصَّدى فقد جاء في المخصص شدة العطش صَدِيَ كتَعِبَ فهو صَدٍ وصادٍ وصَدْيان ، فلا مجال اذن لاستعمالها هنا .

549 Alvéolaire دُرْدُري ، مُخروبي ٥٤٩

550 Alvéole مُخروب ٥٥٠

551 Alvéole dentaire دُرْدر ٥٥١

552 Alvéole pulmonaire مُخروب رئوي ٥٥٢

وأقرت لجنة مجمع اللغة الدُرْدُر [1] لـ (Alvéole dentaire) واستعملت السِنخ في مواطن مماثلة كالقناة السِنْخية (Alveoler canal) وأما في الرئة فقد دعتهـا الأسناخ تارة (Pulmonum alveoli) والحجيرات الرئوية (Pulmonum alveoli) أخرى . والمخروب واحد المخارب وجاء في اللسان خروق كبيوت الزنابير ، وقيل هي الثقب المهيأة من الشمع وهي التي تمجّ النحلُ العسلَ

(١) في اللسان : الدُرْدُر مَنْبِت الأسنان عامة وقيل منبتها قبل نباتها وبعد سقوطها ، وقيل هي مغارزها من الصبي والجمع الدرداء . والسِنْخ الأصل من كل شيء والجمع أسناخ وسنوخ وسِنْخ كل شيء أصله . أقول وهذه تدعى الجذور وقد دعاها ابن سينا في قانونه الرؤوس .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيها ، وكذلك الثقب في كل شيء مخروب ، ونخرب القادح الشجرة ثقبها وهي شقوق الحجر وشجرة مخربة اذا بليت وصارت فيها نخاريب ·

لذا أرجح لكلمة (Alvéole) في الأسنان دُرْدُر وفي الرئة حجيرات · أما الاسناخ فهي الجذور ·

553 Alvin, ine ٥٥٣ مَشائي ، إسهالي

(Alvin) نسبة إلى (Alvus) وهو أسفل البطن[1] ويقصد منه ما يعود الى الجزء النهائي من الأمعاء ولا سيما المفرّغات · أما المَشاء فقد جاء في القاموس هو الدواء المسهل · وجاء في الترجمة الألمانية (zum Unterleibe gehörend) أي ما يعود الى الجذر السفلي من البطن ·

لذا أرجح أن يقال مُمرْمي والسرم مخرج الثفل وهو طرف المعي المستقيم · هذا ولا يشترط في المفرغ أن يكون اسهالاً ·

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) ينظر في كلمة (Alvin) في معجم (M. Garnier et V. J. Delamare Dictionnaire des termes techniques de Médecine .)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري

-٢-

قال البحتري [١] يمدح المتوكل على الله [٢] :

نَصَبْنا [٣] إلى طِيبِ العراقِ وحُسْنِهِا [٤] ... ويَمْنَعُ منها قَيظُها وحَرُورُها [٥]

(١) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ١٢ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ١٧٢ ظ ، ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن ياقوت أورد الأبيات (١ - ٨) منها وقدَّم لها بقوله : وقال البحتري بفضل الشام على العراق (معجم البلدان ، بيروت : ٣ / ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) هو جعفر بن المعتصم ، عاشر الخلفاء العباسيين ، امتدت خلافته خمس عشرة سنة (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) قضاها في نضال دائم للقضاء على استبداد الأتراك ونفوذهم ، وكان عهده المرحلة الذهبية في حياة البحتري ، وشعر البحتري سجل حافل بكل ما جرى في خلافة المتوكل من أحداث ، ومنها هذه الرحلة التي قام بها المتوكل إلى دمشق ، وكان البحتري في موكب حاشيته .

(٣) صَبَبْنا - تَصَبَّ : من الصبابة ، وهي الشوق ورقة الهوى .

(٤) ياقوت : ... أرض العراق وحسنه ... ويمنع عنها ...

(٥) الحَرور : الريح الحارة بالليل ، وقد تكون بالنهار ، والحُرور : الحرارة وهي هنا ليست بشيء لأن في ذكر القيظ غنى عنها ؛ أما شكوى الشاعر من قيظ العراق فهو يعلنها منذ خروج المتوكل من سامراء :

قد رحلنا عن العرا ... قِ وعن قيظها النَّكِدْ

(الديوان ، الجوائب : ١ / ٩ ، والقصيدة من مجزوء الخفيف ، وفي الديوان « قطبها النكد » وهو تصحيف) .

هي الأرضُ نهواها إذا طابَ فَضلُها ... ونهربُ منها حين يَحْمى هَجيرُها
عشيقتُنا الأولى وخُلّتُنا التي ... نُحبُّ وإنْ أضحتْ دِمشقُ تُغيرُها (١)
عُنيتُ بشرقِ الأرضِ قِدْماً وغَرْبِها ... أجوّبُ في آفاقِها (٢) وأسيرُها
فلم أرَ مثلَ الشامِ دارَ إقامةٍ (٣) ... لِرَاحٍ نُغاديها وكأسٍ نُديرُها (٤)
مَصَحّةُ أبدانٍ ونُزهةُ أعينٍ ... ولَهْوُ نفوسٍ دائمٌ وسرورُها
مقدّسةٌ جادَ الربيعُ بلادَها ... ففي كلِّ دارٍ روضةٌ وغديرُها

---

(١) في مخطوطة الديوان : (تَعيرها) : من عاره إذا عابه ، وليست بشيء ، وقد آثرنا رواية ياقوت (تُغيرها) وهي بمعنى تثير غيرتها ، لأنها من أغار أهلَه إذا تزوج عليها فغارت ، وبذلك يتم ربط عجز البيت بمعنى صدره .

(٢) أكثر البحتري من التطواف في أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الأطراف ، برّها وبحرها (انظر ما كتبناه في مقدمة أخبار البحتري للصولي ص : ٥) .

(٣) يزيّن الشاعر للمتوكل أن يتخذ من دمشق دار إقامة ، وكثيراً ما كان البحتري يُماري الخليفة محاسن دمشق ، ويدعوه إلى أن يؤثرها بهواه :

وكيف لا نُؤثرُها بالهوى ... وصيفُها مثلُ شتاء العراق

(الديوان ، الجوائب : ١/١٧٣ والقصيدة من السريع) ويبدو أن المتوكل استجاب لشاعره فعزم على « نقل دواوين الملك إلى دمشق » (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٤٤) لولا أن الجند شغبوا عليه (انظر المسعودي : مروج الذهب : البهية بمصر ١٣٤٦ : ٢/٣٨٩ — ٣٩٠) .

(٤) ياقوت : لراحٍ أغاديها وكأسٍ أديرُها

تبَاشَرَ قُطراها وأضعف حسنُها بأنّ أميرَ المؤمنين يزورُها
توجهتَ مصحوباً إليها بعزْمَةٍ مضى بِبَدَادٍ بَدْؤُها وأخيرُها
وفي سنةٍ[1] قد طالعتْكَ سُعودُها وقابَلَكَ النيرُوزُ[2] وَهْوَ بَشيرُها
تَصِلُها بأعوامٍ توالى[3] ولا تَزَلْ مقدّسةً أيامُها وشُهورُها
وعِشْ أبداً للمكرُماتِ وللعُلا فأنتَ ضِياءُ المكرُماتِ ونُورُها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) غادر المتوكل سامرا لعشر بقين من ذي القعدة من عام ٢٤٣هـ إلى دمشق عن طريق الموصل ، ووصل إلى دمشق لثمان بقين من صفر عام ٢٤٤هـ وأقام فيها ثمانية وثلاثين يوماً (انظر تاريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ : ٢/٦٠٠) .

(٢) النيروز والنوروز اسم فارسي معرب معناه اليوم الجديد ، وهو أعظم أعياد الفرس ، وزمانه اليوم الأول من السنة الفارسية التي تبتدئ بالانقلاب الصيفي ، وقد شهد المتوكل في دمشق مقدم الصيف ، لأن إقامته فيها من صفر إلى أول ربيع الثاني من عام ٢٤٤هـ ، أي من أيار إلى تموز من عام ٨٥٨م .

(٣) أصلها (تتوالى) لحذف التاء ، والبحتري يكرر هنا ثانية دعوة الخليفة إلى إطالة البقاء في دمشق .

ملاحظات ونظرات

١ — هذه القصيدة واحدة من خمس، نظمها البحتري كلّها أثناء رحلة المتوكل إلى دمشق، وفي هذه القصائد يتغنى شاعر المتوكل بطيب العيش في دمشق وباعتدال اقليمها، ويفضلها لذلك على العراق وقيظها، وديوان البحتري يحوي القصائد الأربع الأخرى (الديوان، الجوائب : ١/ ٩، ١٠، ١١، ١٧٣) أما هذه الرائية فتُنشر كاملة لأول مرة .

٢ — تحديد تاريخ نظم القصيدة إذاً ممكن، ذلك أن المؤرخين القدامى عُنوا بالكلام على رحلة المتوكل إلى الشام، وهي الرحلة الوحيدة التي قام بها هذا الخليفة العباسي إلى خارج العراق طوال مدة خلافته، ولهذا نستطيع أن نؤكد بالدقة أن البحتري نظم القصيدة سنة ٢٤٤ هـ، وفي الربع الأول منها، عندما كان المتوكل في دمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — لهذه الرحلة شأن بعيد المغزى في سياسة المتوكل، ولكن مؤرخينا القُدامى لم يدققوا في هذا الحدث الخطير، واكتفوا عند الحديث عن عودة الخليفة إلى العراق بإيراد بعض الأسباب الاقليمية والغذائية، فالطبري يذكر أن المتوكل استوبأ دمشق لأن الهواء بها بارد ندي، والماء ثقيل، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل، وهي كثيرة البراغيث .. ويتحدث الطبري عن غلاء الأسعار في الشام وعن حيلولة الثلج دون السابلة والميرة، ويتابع ابن الأثير الطبريَّ دون تحقيق، والتحقيق أن المتوكل لم ينزل دمشق ليستوبيَ سكناها، وإنما نزل في قصر المأمون بداريا، على بعد ساعة من دمشق، وهذا الموضع في أعلى الأرض ـ كما يقول المسعودي ـ يشرف على دمشق وأكثر الغوطة (مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩)، والتحقيق أيضاً أن المتوكل كان في دمشق في وسط الصيف، بين أيار وتموز ـ كما قدمنا ـ

فمن أين تتراكم الثلوج وتحول دون وصول الميرة! المؤرخون المحدثون استطاعوا أن يدركوا أن وراء عودة المتوكل المفاجئة إلى العراق، بعد عزمه على نقل دواوين الخلافة إلى دمشق، سراً لم يكشف عنه أسلافهم، فهذه الرحلة مظهر من مظاهر النزاع بين المتوكل والأتراك، وقد حاول الخليفة بها أن يتخلص من النفوذ التركي الخانق في سامرا بنقل مركز الخلافة إلى منطقة نفوذ عربية، إلى دمشق، ولكن الأتراك انتبهوا إلى هذه الخطة وخطرها، فشغبوا على المتوكل، وحاولوا اغتياله، وأجبروه على العودة. (انظر دراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري، بغداد ١٩٤٥: ص ٤٥ وما بعدها).

٤ – ويعتقد بعض الباحثين أن البحتري قد أسهم في دعم سياسة المتوكل للخلاص من نفوذ الأتراك، فهو منذ بعيد يُطري للخليفة محاسن الشام، ويثير شوقه إلى فتنة طبيعتها، إلى أن عزم المتوكل على الرحلة إليها، ولهذا يقول له البحتري في إحدى قصائد الرحلة: (الديوان، الجوائب: ١/١١):

أما دمشقُ فقد أبدت محاسنَها وقد وفى لكَ مُطريها بما وعدا

وقد بذل البحتري جهده ليحبب دمشق إلى المتوكل، ويدفعه إلى إيثارها على العراق، وليس بعيداً أن يكون البحتري هو الذي حمل المتوكل على المقام بالشام ونقل دواوين الملك إلى دمشق. (انظر: في الأدب العباسي للدكتور محمد مهدي البصير، بغداد ١٩٤٩: ص ٢٣٤).

٥ – أبيات القصيدة تنبض بحب الشاعر الشامي لوطنه، فهو يفضل الشام على العراق، ولا يعدل بدمشق داراً أخرى اسكنه، ولا يرى في الأرض كلها، شرقها وغربها، مثيلاً لها في إفادة اللهو والسرور، فهي صحة البدن ونزهة العين ولهو النفس، وهو يتمنى أن ينقل المتوكل سرير ملكه إليها، ولهذا نجده يحث الخليفة على إطالة البقاء فيها، ويلفته إلى مميزاتها، فهي أرض

مقدسة ، أهدى الربيع كلَّ دار من دورها روضةً وغديراً ، وستزداد محاسنها اشراقاً بهذه الزيارة لها ، وتطيب أيامها وشهورها كما طال مكث المتوكل فيها ، وهذه القصيدة أرادها البحتري في مدح المتوكل ، فغالبه حبه للشام على إرادته فجاءت قصيدته تحية اعجاب وحب لدمشق ومفاتن الطبيعة فيها .

٦ — تمتاز القصيدة إذاً بوحدة موضوعها ، فالأبيات كلها تتحدث عن جمال الطبيعة في دمشق ، وتمجيدها وتفضيلها على العراق وحث الخليفة على البقاء فيها ، وهي من جيد شعر البحتري في المتوكل ، وشعره في المتوكل أجود شعره وأصفاه .

– ٣ –

وقال البحتري [١] يمدح محمد بن حُميد الطوسي [٢] :

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٢٣ ، نقلناها من مخطوطة الديوان بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة ١٤٣ و — ظ ، إلا البيت الخامس منها فقد نقلناه من (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني ، بتحقيق السيد عبد العزيز الميمني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٤٣) وقد وجدنا في هذا (المختار) البيتين الرابع والخامس ، وذلك يؤكد صحة نسبة القصيدة إلى البحتري .

(٢) هو أبو نهشل الطائي ، محمد بن حُميد بن عبد الحميد الطوسي ، ممدوح أبي تمام والبحتري ، وقد مدحه البحتري بشعر كثير ، وآل حميد بيت شجاعة وفروسية وأدب ومجد ، منح الخلافة العباسية عدداً من كبار قادة جيوشها ، وقد مدحهم شعراء عصرهم ورثوا مصارع الأبطال منهم عند الثغور ، وأخبارهم منثورة في كتب التاريخ (وانظر معجم الشعراء للمرزباني ص : ٤٢٧ ، والأغاني ، بولاق : ٩/١٠٢ — ١٠٣) .

بعضَ[١] هذا الملامِ والتفنيدِ[٢] ليس هجرُ النوى كهجرِ الصدودِ
زعم العاذلون أن الذي يُصْـــبيهِ[٣] تَجمُّلُ العيونِ غيرُ رشيدِ
كذب العاذلون قد يَحْسُنُ الحبُّ بمَنْ ليس قلبُه من حديدِ
يا رُبوعَ الديارِ إنّي على ما قد أراهُ منكنّ غيرُ جليدِ
[أخلقَ الدهرُ عهدَكنَّ وللدهـــرِ صُروفٌ يُخْلِقنَ كلَّ جديدِ[٤]]
فرّقت شملَنا النوى بعد ما كنّـــا جميعاً في ظلِّ عيشٍ حميدِ
لو[٥] ترانا عند الوداع وقد لوّ (م) نَ سكبُ الدموع وردَ الخدودِ
حين سادوا بغانياتٍ وِسامٍ[٦] آنساتٍ حُورِ المدامعِ غيـدِ
يتلفّتْنَ من بعيـدٍ وينظُر نَ اشتياقاً إلى المحبِّ العميدِ[٧]

(١) للبحتري قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطلعها مماثل لهذا المطلع : (الديوان ، الجوائب : ٢/١٩٣) :

بعضَ هذا العتاب والتفنيد ليس ذمُّ الوفاء بالمحمود

(٢) التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي وتضعيف القول .

(٣) أصباه : شاقه وفتنه ودعاه إلى الصبا .

(٤) البيت زيادة من (المختار . .) للجرجاني .

(٥) لو : هنا ليست للشرط ، فلا جواب لها ، وتحتمل التمني والعرض .

(٦) وسام : جمع وسيمة ، والوَسامة أثر الحسن .

(٧) العميد والمعمود والمعمَّد : الذي هدَّه العشق وأضناه .

يتهادَيْنَ حول مُخْنُورَةِ العيـــنينِ مصفرّةِ الترائب(١) رُودِ(٢)
أعجَلَتْها النوى فما نلتُ منها طائلاً غيرَ نظرةٍ من بعيدِ
سوف أعطي السلوَّ والصبرَ ماأمـــنَعُ من(٣) طارفِ الهوى وتليدِ
بالمهارى(٤) يلبَسْنَ ثوباً جديداً مُسْتَفاداً في كلِّ وقتٍ جديدِ
وهي طولَ النهار بيضٌ وطولَ(٥) الـــلَيلِ في أقْمُصٍ من الليل سُودِ
طالباتٌ في النَوْثِ غَوْثاً سَكُوباً وحميداً في آلِ عبدِ الحميـدِ(٦)
جادَ حتى لو أستُزيد من الجُو دِ لَما كانَ عنده مِن مَزيدِ
خُلُقٌ يامحمّدُ بنَ حُميدٍ حُزته عن أبوةٍ وجدودِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الترائب: موضع القلادة من الجسم أو ما بين الثديين، ويريد الشاعر من اصفرار الترائب أنها مصبوغة بالزعفران، وهو من الطيّب، وقيل: أهلك النساء الأصفران: الذهب والزعفران.

(٢) رُود مسهلة من رُؤْد وهي الفتاة الحسنة الشباب، تشبيهاً لها بالغصن الرطب الرخص.

(٣) في الأصل: ما، ولا يستقيم بها معنى البيت وإعرابه، و (ماأمنع) مامصدرية ظرفية، ومعنى البيت أنني سأسلو عمن فارقوني، مدةَ ما يُمنع عني جديدُ الهوى وقديمه، برحلة إلى الممدوح، أركب المهارى .. إلخ ..

(٤) المهارى الإبل المهْرِيّة، وهي المنسوبة إلى قبيلة مَهْرَة.

(٥) في الأصل: طوال، وهو خطأ، ولا يستقيم الوزن به.

(٦) الممدوح اسمه محمد بن حميد بن عبد الحميد.

يَشْهَدُ الحربَ منكَ ليثُ عرينٍ غيرُ هيَّابةٍ ولا رِعْديدِ
أسدٌ يركبُ السيوفَ إذا ما فُلَّ تحت السيوفِ صَبْرُ الأسودِ
يتخطّى فيها وقابَ المنايا غيرَ ما ناكِلٍ ولا مَزْؤودِ (١)
في نهارٍ من السيوفِ مُضيءٍ تحتَ ليلٍ مِنْ مُستثَارِ الصَّعيدِ (٢)
وعوانٍ (٣) تَحُلُّ تحتَ وغاها عُقدةُ الفارسِ الشجاعِ النجيدِ (٤)
يَخْرَسُ الدارعونَ فيها فما يُسْـمَعُ فيها إلا كلامُ الحديدِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(١) المزؤود : المذعور ، من زَأَده : أفزعه .
(٢) الصعيد : التراب ، والتراب المثار كناية عن المعركة .
(٣) العوان من الحروب ، الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بِكراً ، لأن العوان من النساء هي الثيّب .
(٤) النَّجيد والنَّجْدُ والنَّجُدُ والنَّجِد : الشجاع الماضي فيما يُعجز غيرَه .

ملاحظات ونظرات

١ – ممدوح البحتري في هذه القصيدة محمد بن حميد ، القائد العبامي ، شخصية كبرى من شخصيات شعر البحتري ، وهو شاعر مقل (الفهرست ، الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ : ص ٢٣٥) يروي صاحب الأغاني بعض أخباره (ج ٩/١٠٢ – ١٠٣) ، وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة ، منها ١٥ قصيدة في ديوانه المطبوع ، وقصائد أخرى لم تزل إلى اليوم مخطوطة ، ومنها هذه القصيدة .

٢ – ليس سهلاً تحديد تاريخ نظم القصيدة ، ذلك أن البحتري اتصل بآل حميد في بغداد ، في حياة أستاذه أبي تمام الذي كان يستجيد شعر البحتري فيهم (أخبار البحتري : ٦٩) ، وفي خلافة المتوكل أيضاً ؛ وليس في القصيدة ما يُعين على تأريخها ، ولعلّ في حرارة أبيات الغزل وما يذكر الشاعر فيها من تعلق الغانيات به وتلفتهن إليه عند الرحيل ما يسمح لنا بأن نرجّح أن تكون القصيدة من نتاج مرحلة الشباب .

٣ – يمكن أن نلاحظ في القصيدة أقساماً ثلاثة :

أ – النسيب : ويشغل الأبيات (١ – ١١) وقد أغناه الشاعر بالحملة على العذال ، وبالحنين إلى ديار المحبوبة ، وبتصوير بعض الذكريات الباكية لساعة الفراق والرحيل ، وبوصف خاطف لبعض مفاتن المحبوبة ذات العينين الحوراوين ، والترائب الفوّاحة بطيب الزعفران ، والقامة المتأوّدة كالغصن الرخص .

ب – وصف الإبل : ويشغل الأبيات (١٢ – ١٤) وهي الركائب التي حملت الشاعر إلى الممدوح ، وهي إبل مَهْرِيّة تُغِذّ السير ، وتطوي الليل والنهار ، لتبلغ ديار الممدوح .

ج — المديح : ويشغل الأبيات الباقية (١٥ — ٢٣) وهو الغرض الرئيسي من القصيدة ، والبحتري يُقدم فيه للممدوح صورة تقليدية لا تكاد تبدو فيها ملامح خاصة تميز محمد بن حميد الطوسي من غيره من ممدوحي البحتري ، على أنه جمع فيها أقانيم المديح الثلاثة (الكرم وشرف النسب والشجاعة) فالممدوح غوث سكوب ، يجود بكل ما لديه ، وهو شريف في بيته ، ورث الكرم عن أبوّته وجدوده ، وهو في الحرب ليث مقدام ، يخوض المعارك الطاحنة ، ويتخطى فيها رقاب المنايا ، غير هيّاب ولا ناكل ، وكل من في المعركة هادئ صامت أخرس ، فلا يُسمع غير قعقعة السلاح وصليل السيوف .

٤ — يُلاحظ أن النسيب قد استأثر بأكثر الأبيات وطغى على حصة المديح ، وهو الغرض الرئيسي ، كما نلاحظ أن البحتري قد أحسن التخلص هذه المرة من النسيب إلى المديح ، فلم يكن انتقاله اليه مفاجئاً كما عوّدنا أن يفعل ، وهكذا كان وصفه للإبل التي حملته إلى الممدوح وسيلة لغرض فني ، هو ما يسميه البلاغيون بحسن التخلص ، وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة تقليدية معروفة في الشعر القديم ، فإن عرض البحتري الحي السريع المحكم لها خفف من ابتذالها .

٥ — استوفى البحتري في أبيات المديح جزئيات الصورة التقليدية للممدوح ، وعرضها عرضاً خاطفاً مسرعاً ، ولكنه ألحّ على تصوير شجاعة ممدوحه وثباته في المعارك ، حتى شغل بذلك الأبيات الستة الأخيرة ، ولم يترك للكرم وشرف النسب مجتمعَين غيرَ أبيات ثلاثة ! ومثل هذا الإلحاح على تصوير شجاعة الممدوح أمرٌ طبيعي فصورة محمد بن حميد القائد العباسي لا بد لها من أن تطغى — في عيني شاعر مصوّر كالبحتري — على مزاياه الأخرى .

٦ — القصيدة من جيّد شعر البحتري ، اجتمع لها رقة اللفظ وسهولته ، وبساطة التركيب وقوته ، وموسيقى الصياغة وعفويتُها ، وجمال الصورة ووضوحها ، ولو توفر لها غنى العنصر الفكري وطول النفَس لكانت من مختار الشعر العباسي ومستجاده .

(يتبع) الدكتور صالح الأشتر

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

– ٦ –

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم [١] ان النفس هي الاستكمال الأوّل الذي هيولاه المزاج . وأعني بقولي « الأوّل » [٢] كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار [٣] <حين>ما لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف <الأوّل> من الاستكمال أبداً هو كالهيولى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرجه إلى الفعل وهو المحرّك ، لأن كل متحرك فله محرّك ، غير أن المحرّك [٤] في هذه يخفى والمحرّك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في المرآة الصقيلة . (ورقة ١٠٠ ب) فإن الصقالة هي الكمال الأوّل فلذلك متى حضر المرئيّ ارتسمت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب كالذي يعرض في الحديد وهو حديد [٥] أنه استكمال أول . والاستكمال

ARCHIVE

---

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ الف : والنفس هي الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولا من حيث صورته وثانيا من حيث المادة ، انظر De An II, 2, 414 a 9 — 13 : والتعليق ٣٨ ، الفصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير مرآة بعد الصقل .

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرآة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .

فقوة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت صارت بصراً وهذا هو اسمها من حيث هي[1] بالكمال الأخير . وكذلك سايرها . فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين ذو نفس[2] وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل[3] «أول» وهي الخاصة بحاسة حاسة ـ ومنها مشتركة ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا يدركه إلا البصر . ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ، فان الجسم يحد بغايته ، ولذلك لا يكون الصنم إنساناً ، ولا ما نحت من السمع سكيناً اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم[4] . ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحيّ وعين الميت باشتراك لا بتواطؤ .

فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

---

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦ ب (رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢ .) وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه يتخلق اولا فاذا كمل تخلقه اغتذى ونمى (= نما) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . قارن ارسطو : Arist. : Meteo IV. 12. 390 a 10; De An. ii.I. 412 b 12 — 21; 8. 420 b 1; De Gen. Anim. ii. I. 735 a 8

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الرطوبة الجليدية [١] . وذلك بيّن من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه [٢] . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلاّ مع الضوء [٣] ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما ان اللون في الظلام فذلك بيّن عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حايلة بينه وبين الشمس ؛ فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحس والمحسوس [٤] ، فالواجب أن نتقدم [٥] فنلخص أي شيء هو ؟

---

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : ان القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (مايرهوف ، Mayerhof ، المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : واما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية .) اما ابن سينا فانه يقول ان هذه القوة هي في العصبة المجوّفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) . ولقد صرح حنين ان قوة البصر تنبث من الدماغ في العصبة المجوفة ، المقالات العشر في العين المنسوب لحنين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن ارسطو : Arist. ; De An. : *II.* 7. 419 a 13; *II.* 423 b 20

(٣) ما قال ارسطو قط ان الهواء تخدم البصر ، ولكنّه بيّن ان الماء والهواء شفافان يحتويان على جوهر مضيء كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع De An. : *II.* 7. 418 b 1 — 12

(٤) يصف ارسطو ان انواعا من الالوان تعرض لمن يرى الشمس مغطاة بالضباب او الدخان ، فترى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع Arist. : De Sensu : 3. 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : عن ان اتقدم .

والمضيء هو مفيد للضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء ـ والضوء هو كال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .

والمضيء يقال على نحوين[1] : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير[2] هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما يعرض في القمر وفي الأجسام الصقيلة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث <لا> يقدر أن يحمل غيره مرئياً[3] فهذه[4] أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الحباحب ، وهذه ليست ألواناً[5] ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

(١) والظاهر ان ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « ان المضيء على نحوين : تقديم وتأخير » . أما ارسطو فانه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و – ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « ان الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، او شيء شبيه بالأجسام العلوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام العلوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الالهي » ، وفي شرح القديس توماس الاكويني « بالاجسام العلوية » . وقد صرح ابن باجة هـذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع ارسطو : De An. ii. 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : بتاخر .

(٣) المخطوطة : قريبا . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جدا في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر اباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 1–5 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر اباد ص ٢٧ .

فالضوء إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقاً . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك يعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا فيها ان ذلك يكون بتوسط في الغلظ والرقة . وذلك بين فيما قيل [١] في النيازك وأذناب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان [٢] أن صورة النار مرئية [٣] حين وعدنا بالفحص عنها ـ فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور .

والمقبول يلحقه دائماً لواحقُ في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » [٤] ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليمية [٥] ، وأعطيت أسبابها .

---

(١) وذكر أرسطو اسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذنب والمجرة في كتاب الآثار العلوية : Meteo. i, 5—6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. iii II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قربه .

(٤) وتمامه « ذاك الوزير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول » والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكتّاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، ١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) لعله تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فقد .

وظاهر بيّن أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أوّلاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .

ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحرّ والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان[1] في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتياسر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغيراً (ورقة ١٥٧ ب) بل تابعاً لتغير[2] . ويوجد في الآن[3] ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك تحد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمرا[4] يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم[5] ، فإن وضع آمن َجبَ كوضعه من َحدَ ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة بيّن معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون فنسب لتغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « منتهى الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « فلي الآن الذي هو منتهى الحركة » . ولكنه ايضا صرّح بمعنى آخر فقال : ورقة ٢٩ ب : « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة او نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال ارسطو من أن اوضاع الحيوان واوصاف حركته ليست بمادية ، راجع : Phys Viii 4 254 b 23

جزء أخذ من ج ب كان وضع آمنه ضرورة[١] ذلك الوضع بعينه .

والمفيء من المستفيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع بالاطلاق ببسائطها المطيفة بها الخارجة . فلذلك تكون ذوات وضع بهذه البسائط .

والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من الإضافة كالتوليد فإن المولِّد لا يكون مولَّداً للمولَّد له . وقد يكون بينهما شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينهما شخصان قد يكون نوع الاضافة التي[٢] بينهما فصلها[٣] من كليهما كتيامن حيوان من حيوان . فإن ح اذا كان متيامناً عن ب كان ب متيامرا[٤] عن ح[٥] . لأن لكليهما اليمين واليسار . وأما ما ليس بحيوان فليس[٦] كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بمتيامر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا يسار إلا بالإقتياس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمفيء له إلى المستفيء وضع مضاف ولذلك اذا حضر وجب أن يكون ذلك له ، وقبوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمنير ما له مثل هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأن الاضافة طبيعة عامة لما هو جسم ولما <هو> ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام الجسم بذاتها .

---

(١) المخطوطة : ضرورة .
(٢) المخطوطة : الذي .
(٣) المخطوطة : فصلها .
(٤) المخطوطة : متيامر .
(٥) المخطوطة : د .
(٦) المخطوطة : وليس .

ولما كانت الإنارة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك للأجسام ، فإن لكل جزء من المنير عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأيّ قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورةً ما يجاوره . وقد لخّص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء [1] . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان ـ إن قيل لذلك زمان ـ وتفاصل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نيّرين ولا يبين أثره اذا تخالفا في الوضع . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منها على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولمّا كان اللون إنما هو على ما تبين في الحسّ والمحسوس [2] باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة رسمت هنالك كان اللون أيضاً مضيئاً بوجه ومحركاً للهواء [3] . فاللون محرّك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرّك لذلك اللون .

فأما كيف قيل إن اللون يحرك المشفّ بالفعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة . فتحريكه

---

(١) لعل ابن باجة يشير الى كتاب صنفه في انعكاس الضوء ، وقد فُقد .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1—18; 439 b II; De An. ii. 7. 419 a 14

(٣) المخطوطة : لهوى .

اياه إضاءة وإشفاف . وهنالك استبان خطأ من رأى [١] أن الإبصار كان بالخلاء [٢] ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الابصار جملةً .

وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء [٣] ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل [٤] .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون او قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .

ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتعدّ فيها بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما [٥] ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا [٦] فليس للبصر لا قريباً ولا بعيداً .

وقد يظن أن كثيراً ما <ما> بالذات يوجد في المرايا [٧] ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15
(٢) المخطوطة : «لون بالخلاء» .
(٣) أيضاً : 419 a 9 .
(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون الخ (ورقة ١٥٥ ب) .
(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر بالذات واما الخ .
(٦) المخطوطة : عندما .
(٧) المرايا جمع المرءاة .

فيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية [١] ، لأن الجزء الظاهر عند آ ليس هو بعينة الذي ظهر عند ب . فيكون ذلك حركة . وانما ذلك كظل المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فانّ الظل لا حركة له .

والحسّ لما كان هيولى تقبل معنى المحسوس على ما قيل [٢] لذلك ارتسم في الحسّ ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المرآة فليست تقبل المعنى لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى [٣] .

* * *

الفصل الخامس

القول في السمع

(ورقة ١٥٧ ب)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها [٤] ادراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموعا وإحساسها هو سمع . وذلك ان كل الأجسام المحدثة للصوت إما صلبة وإما رطبة . فان كانت صلبة فاذا قرعها [٥] قارع حدث عنها [٦]

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : فهيولى الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة ورقة ١٥٤ الف ، أخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مفيء » ، لعله من زيادة ابن الامام او الكاتب .

(٤) الصوت ، كما بيّنه أرسطو ، بالفعل وبالقوة . والأول يحدث من التصادم ، فلا بد له من جسم قارع وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5—13 .

(٥) المخطوطة : قرعه .

(٦) المخطوطة : عنه .

صوت . وأما إن كان رطباً[١] فانه لا يحدث عنه صوت إلا أن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع[٢] من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبو عنها ، وتندفع منه إلى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل[٣] عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزّة .

وبينٌ أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجده متى حركنا البمّ في تسوية المطلق تحرّك <ما> على المثنى فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتزّ المثلث لم يهتزّ الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ، وكذلك يعرض في المتساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل <و> الذي بالكل متشابه وليس متساوي[٤] .

والمحسوس الأول هو ذلك الأثر[٥] الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحس دون تحرّك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحرّكه في الأثر[٦] ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدّين[٧] تغيرٌ ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

---

(١) اللفظ المقابل الرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنه بيّن « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالقارعة ، فالضرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجوفة والملساء تحدث » ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 14—15

(٢) انظر ارسطو : De An. 8. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ، ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة : ويقبل .

(٤) (متساوياً) غير لبس . (لجنة المجلة)

(٥) راجع أرسطو : De An. 8. 419 b 18—20 .

(٦) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر به .

(٧) المخطوطة : الضدان .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع [١] ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فان النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممتزجة ، إما ملائمة وإما منافرة . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصير به [٢] الملذة منافرة والمنافرة ملائمة . وهذا هو <في> عود أنينها [٣] النغم . وقد فصّل ذلك كله في مواضع أخر .

ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان [٤] محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيهما ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل [٥] . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٠٨ الف) يظن بها أنها واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف عند أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحداً [٦] بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً يقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبذون على تخييل رعود ، والمحاكون على اسماع أصوات أجسام مختلفة فتظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولأي قوة هو .

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .

(٢) المخطوطة : بصره .

(٣) الصواب (انينه النغم) . (لجنة المجلة)

(٤) المخطوطة : المتقارعين .

(٥) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع للبصر غلط .

(٦) المخطوطة : واحد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأجسام منها مصوّتة ومنها غير مصوّتة . فالمصوّتة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس (١) ومن ذوات الانفس ما له رئة (٢) ، وهو ما يتنفس (٣) .

فأما الحيوان المعروف بالصرّار وصرّار الليل فليس مصوّتاً (٤) على هذه الجهة ، بل هو مصوّت (٥) بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروق جوفه (٦) فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يحدث صوتاً لو يقرعه قارع . هذا وجود الصوت .

ولما كان الحسّ يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كان الصوت وسائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ (٧) لم يكن في قوام الصوت .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .
(٢) المخطوطة : رئة .
(٣) المخطوطة : ما يتنفس .
(٤) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً قائلاً : « الصوت الذي هو للسمك وما أشبهه انما يحدثه بخيشومه أو بعضو آخر له : De An ii. 8. 420 b 11. يظهر أن ابن باجّة خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فان الهواء يخرج من بين خروق جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ، فاخراج الهواء يحتاج الى الاستنشاق أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 ; Hist. An. IV. 9. 535 a 27–536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان المصوّت ، صرّار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٨ .
(٥) المخطوطة : هي مصوتة .
(٦) المخطوطة : جوفها .
(٧) المخطوطة : إذا .

التعريف والنقد

الحياة الجنسية عند العرب

الدكتور صلاح الدين المنجد

كلما تصفحت معجماً من معجمات لغتنا دهشت من كثرة هذه الألفاظ الدالة على ما نسميه في عصرنا هذا : الحياة الجنسية ، فلا أشأ أن أعرف وضعاً من أوضاع المرأة أو الرجل في هذا الباب إلاّ عرفته ولا أشأ أن أهتدي الى لفظ يدلّ عليه إلاّ اهتديت ، وكنت أسأل نفسي هذا السؤال : هل نجد في لغة من لغات العالم ، قديمها وحديثها ما نجده في لغتنا في هـذا المعنى ، وهل عنيت أمة من أمم هذا العالم بمثل ما عنينا به في الحياة الجنسية ، ولست أعرف السرّ في هذا الأمر ، هل هذا كله راجع الى طبيعة البيئة التي نشأ فيها العرب في ماضي الدهر ، واذا نظرنا في الأخبار التي تتناهى إلينا عن بعض المترفين في هذه البيئة يوماً هذا أدركنا انسجاماً غريباً في هذه العناية بالحياة الجنسية في مواضي الأيام وبواقيها .

فهل من بدعة في جمع أخبار هذه الحياة التي ملئت بها كتب أدبنا القديم ، أفلا تؤلف هذه الأخبار جزءاً عظيماً من هذا الأدب ، في منظوم القول ومنثوره ، أفلا يجب علينا أن نهتمّ بكل جزء من أجزاء هذا الأدب حتى نعرف خصائص طبائعنا وأمزجتنا .

هذا ما فعله الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، في كتابه : الحياة الجنسية عند العرب ، فقد استقصى في أخبار هذه الحياة من أيام الجاهلية المتأخرة الى منتهى قرن الهجرة الرابع ، وما أظن أن أحداً جمع ما جمعه في هذا المجال ، فقد تكلّم على الحياة الجنسية في العصر الجاهلي والإسلام وأيام بني أميّة وبني العباس وانحدر الى طبقات الشعب

فنتبع قصص هذه الطبقات في هذا الموضوع ، ثم أشار الى لغتنا الجنسية وقد أعانه مركزه في معهد المخطوطات على الاطلاع على ما لم يطلع عليه إلاّ القليل مما يتصل بوصف الحياة الجنسية .

لم تعوز الدكتور صلاح الدين المنجد الجرأة على هذا التأليف كما لم تعوزه من قبل الجرأة على تأليف كتابه : جمال المرأة عند العرب ، وقد تولّى الدفاع عن عمله بقوة عجيبة من الحجج والمنطق حتى كاد يقطع السبيل على كل من تحدثه نفسه بشيء من التنطس أو التوقر ، فقد دافع في مقدمة كتابه عن طبيعة تأليفه دفاعاً لا أكاد أجد فيه مغمزاً من المغامز وأيّد دفاعه بطائفة من الاستشهادات واسعة الآفاق لا أرى فيها مجازاً الى الاعتراض .

ولست أرى حاجة الى أن أذكر أنه وصف أخباره وصفاً سلسلت فيه لغته وسهلت تراكيبه بحيث خلا من كل غمغمة أو جمجمة ، انا نعيش في عصر أصبحت فيه مواجهة الحياة الواقعة أمراً لا مندوحة عنه وأظن أن الهرب من هذه الحياة الواقعة انما هو من خطأ الأمور ، فلماذا نهرب من أمر نجعله أحاديثنا في مجالسنا وخلواتنا ، ولا سيما اذا خلت هذه المجالس من كل كلفة أو تصنع ، لماذا نهرب من أمر عليه مدار الحياة كلها ، ولست أعني بهذا أنه يلزمنا أن نقصر كل همنا وفكرنا على الحياة الجنسية فلا نهتم بآفاق الحياة الباقية ولا نفكر فيها ، وانما أعني بكل ما قلته أنه لا ينبغي لنا أن نتظاهر بالعفة في أمر من أمورنا ونحن نحلم بهذا الأمر في اليقظة والمنام .

وهل عليّ من حرج اذا قذفت برأي خاص في هذه السبيل ، فانني أعتقد أن أدباءنا في القديم اذا كثرت مؤلفاتهم الأدبية هذه الكثرة مما لا نكاد نجد له شبيهاً في العالم ، فالسبب في وفرة إنتاجهم أو من أسباب هذه الوفرة نشاط غرائزهم ولو كانوا يعانون ما نسميه كبت الغريزة لعميت قلوبهم وصدئت خواطرهم ولما نعم ميراثنا الأدبي اليوم بما ينعم به من مؤلفات منقطعة النظير .

محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان

ألقاها الدكتور سامي الدهان

من محاسن هذا العصر أن يُنشأ فيه معهد للدراسات العربية العالية يتولى إحياء عصرنا الحديث من مجامع نواحيه ولا سيّما من ناحيته الأدبية ، فان المعهد يكلّف كل سنة أساتذة أكثرهم من الطراز الأول أن يحاضروا بالموضوعات التي يُخصون فيها .

في جملة هؤلاء الأساتذة الدكتور سامي الدهان عضو مجمعنا العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فقد ألقى في السنة الماضية على طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد محاضرات تتصل بالأمير شكيب أرسلان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل أن أشير الى موضوعات هذه المحاضرات لا أجد لي مندوحة عن الإشارة الى عبارة وردت في التصدير ، فقد قال المحاضر حفظه الله : « من الخير أن يتلفت الجيل العربي الصاعد الى سير أعلامه وآثاره ليقتبس من أنوارها الهدى » .

ما أظن أن كلمة القومية رزقت في لغتنا من الشيوع ما رزقته في عصرنا هذا فهي على لسان كل خطيب وكل كاتب وكل شاعر ، فاذا كان هذا العصر انما هو عصر القومية بالنسبة الى العرب فلا ريب في أن إحياء آثار رجال الأدب والفكر في القديم والحديث إنما هو في مقدمة الأعمال التي تزيد في قوة هذه القومية ، فلا أكاد أفهم كيف نتغنى بالقومية ونحن لا نتغنى بآثار رجالنا في الماضي والحاضر ، فالقومية ليست غرس هذه الأيام وانما هي غرس الماضي فهو الذي خلقها وهو الذي تعهّدها حتى زكا غرسها واستطال وحتى أتى أُكله

في أيامنا واذا كان لهذا العصر فضل فان فضله في الحرص عليها والفناء في سبيلها .

ولا نستطيع أن نهتمّ بالقومية العربية دون أن نهتمّ بالأمير شكيب أرسلان فالأدب واللغة من أعظم عناصر هذه القومية والأمير شكيب نضّر الله عظامه إمام من أجلّ أئمة هذا الأدب وهذه اللغة ونحن نحمد الله تعالى إذ يسّر لهذا الإمام أستاذاً يهتدي الى خصائص عبقريته فيبعث هذه العبقرية من مدافنها ويلج الى كل سرّ من أسرارها حتى يكاد الإنسان يحيط بها من كل أطرافها .

لقد تكلم الدكتور سامي الدهان على عصر الأمير شكيب ثم فصّل هذا الكلام فخاض في نواحي حياته وشعره ونثره وأدبه ودفاعه عن العرب والإسلام ومؤلفاته وثقافته بحيث لا يفرغ القارئ من هذه الفصول إلاّ وهو يحسّ بأن الأمير أرسلان ملء سمعه وبصره .

قال المحاضر في تصديره :

« وهـذه المحاضرات التي ألقيت لدراسة الرجل الأديب والكاتب المصلح لا تستنفد القول في أدبه وجهده لأنها واسعان أشدّ السعة ولكنها تهدف الى اثارة الدارسين في العناية بهذا السياسي العالم والمكوف عليه والرجوع الى مصادر أخرى كثيرة لم نذكرها في هذه الفصول .. »

إذا كان المحاضر يرى أن هذه المحاضرات لا تفي بالغرض الذي يتصور أفقه الواسع فنحن نرى أنها محاضرات مكثّفة يستطيع القارئ أن يجد فيها ما ينتفع به على أوجز وجه وأقربه وأظن أن المعهد ما لجأ الى أمثال هذه المحاضرات إلاّ لأنها خالية من كل حشو يتعب الذهن ، مشتملة على كل زبدة وهذا هو فضل كثير من المحاضرات التي تلقى في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

شفيق جبري

كتاب الشرح والإبانة، على أصول السّنة والديانة

لابن بطة العكبَري

إن أقوى ما يلتمسه المسلمون من الوسائل لاستعادة مجدهم الباهر، ومدنيتهم الزاهرة، هو العَود إلى العمل بالكتاب والسنة، والاقتباس من نورهما في عصر غلبت فيه الأثرة، وركب الناس في سبيل شهواتهم وأطماعهم متن عمياء «ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» ألا وإن الأصلين الكريمين هما مستقَرّ الحياة الطيبة للمسلمين، وهما سبيل النجاة من آفات المدنية الحديثة وغوائلها.

وهذا كتاب الشرح والإبانة على أصول السّنّة والديانة، للشيخ الإمام أبي عَبْد الله عُبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العُكبَري رحمه الله، وهو كتاب جليل في نحو مئة صفحة، فيه الدعوة الصادقة التي لا هوادة فيها إلى لزوم الجماعة، والمباينة لأهل التفريط والإضاعة، والتزام هَدْي السلف الصالح، والتحذير من مخالطة أهل البدع، والبعد عن كل قول مبتدع، ورأي مخترع، وهوى متَّبَع. ثم بيان حقيقة السنّة وأقوال الأئمة الثقات في مبناها ومعناها. وفي الجملة: إن هذا الكتاب عبارة عن عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، معزّزاً بالشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة. ولكنه يأتي بالأحاديث مُعرّاة من الأسانيد، غير معزوّة الى كتب الصحاح أو السُّنَن والمسانيد، وقال (ص ٦) تركت أسانيدها روماً للاختصار، وليته عزاها إلى مخرّجيها ليبحث عن درجتها من الصحة والضعف. وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها، وطعن ولعن، وكفّر ونفّر منهم، ثم قال (ص ٦٣): «وقد أجمعت العلماء — لا خلاف بينهم — أنه لا يكفّر أحد من أهل القبلة». وقال ص ٩١: «وكل العلماء يقولون في من سميناه: إنهم أئمة الكفر، ورؤساء الضلالة.».

وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطأ وصواب ، من كان واسع الاطلاع على النصوص ، ومناشئ الفرق ومذهبها ، وقربها من الحق أو بعدها عنه ، «وما يذّكر إلا أولو الألباب» .

وهذه شذرة بقلم المؤلف في وصف كتابه :

«وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسّاك والعبّاد والزهّاد منذ أول هذه الأمة الى وقتنا هذا ، أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات ، والغزو ، والحج ، والهدي ، مع كل أمير برّ وفاجر ، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار جائز ، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها ، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها ، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها ، في كل عصر ، ومع كل أمير ، جائز على حكم الكتاب والسنة ، لا يضرّ المحتاطّ لدينه ، والمتمسك بسنة نبيه (ﷺ) ظلم ظالم ، ولا جور جائر ، إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة ، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعاً يخالف الكتاب والسنة ، لم ينفعه عدل الإمام . والمحاكمة إلى قضاتهم ، ورفع الحدود ، والقصاص ، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم ، والسمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبداً حبشياً ، إلا في معصية الله عزّ وجل ، فليس لمخلوق فيها طاعة . اهـ .

وقد طبعت معه ترجمة بالفرنسية مع مقدمته بها البالغة عشرات الصفحات ، وتحقيقاته وتعليقاته وفهارسه المفصلة ، وقد بلغ كله نحو مائتي صفحة (أي ضعفي الأصل) . وكل ذلك بقلم محققه وطابعه الأستاذ هنري لاوست الكاتب المستشرق وأحد أعضاء مجمعنا العلمي بدمشق ، واني أدع وصفه المفصّل لمن يكتب عنه بدقة وعناية . وقد أشار الأستاذ لاوست في ذيل الصفحات الى الاختلاف اليسير الواقع بين النسختين اللتين طبع عنهما ، والى ما زاد أو نقص في إحداهما عن الثانية ، ولكن الإيضاح بالفرنسية دون العربية ، ومثاله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ص ٨٣) كلمات ، [أدب ، ونظافة ، ووقاية .] فقد كتب في ذيل الصفحة ما يأتي :

D) Membre de phrase effacé dans D; donné par R.

ومثلها اسم الكتاب فقد كتب على أحد الوجهين من كل ورقة بالفرنسية ، وكان الأولى أن يكتب بالعربية .

والآيات الكريمة مشكولة كلها شكلاً صحيحاً ، ولكن سها النظر عن حروف يسيرة نشير اليها : (ص ١٢ س ١) وإنْ هذا صوابه « وأنَّ » . (ص ١٩/ ١٣) وعَمَلَ : « وعَمِلَ » . (ص ١٠/٦٢) ليَغْفَرُ : « ليَغْفِرَ » . وجاء في (ص ٣٠ /٥) إذاً خرجت : إذا الخ .

وفي الختام نشكر الأستاذ لاوست على ما يخرجه من كتبنا السلفية ، ويعنى به عناية بالغة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الأئمة الاثنا عشر)

لمؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون ٩٣٥ ﻫ ١٥٤٦ م (ص ١٤٣)
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
بيروت ١٣٧٧ ﻫ = ١٩٥٨ م

يسرُّنا جداً أن يظهر في عالم الطباعة والنشر مثل هذا الكتاب لمفخرة الشام والإسلام شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي (م ٩٣٥ ﻫ) الذي أحصيت مؤلفاته فبلغت (٧٤٦) كتابا ، وعُدَّ منها ما ألَّفه في التاريخ والتراجم وأسماء الرجال فبلغ (٦٠) مؤلفاً . وهذا الكتاب في تراجم الأئمة الاثني عشر ، وهو المسمى بـ « الشذرات الذهبية ، في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية) وهم : الإمام علي بن أبي طالب ، وولداه الحسن والحسين ، وعلي زين العابدين ،

ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، ، وموسى الكاظم ، وعلي الرضا ، ومحمد الجواد ، وعلي الهادي ، والحسن العسكري ، والحجة المهدي عليهم السلام والرضوان ، وهم الذين يسميهم الشيعة الإمامية : الحُجَج ، ويعتقدون أنهم معصومون .

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد . فبدأه بمقدمة عدَّ فيها مصادر ترجمة ابن طولون ، المخطوطة والمطبوعة فبلغت عشرة ، اثنان منها أجنبيان . ثم أخذ يترجم له منذ حداثة سنّه ، الى أن نضج عقله ، وكمل علمه ، واتسعت دائرته في العلوم النقلية والعقلية ، الدينية والطبيعية والرياضية ، وذكر ما عهد اليه به من الأعمال الكثيرة من أيام الصبا إلى أن جاوز السبعين من عمره ، مرتبة على سني حياته . وقد وصف كتابه هذا في التراجم ، وأنه ناقل غير قائل ؛ وذكر المراجع التي جمع المصنف «الشذرات» منها ، وصوّر الورقة الأولى من المخطوطة التي طبع عنها ، ونهج تحقيقه فيها ؛ وأردف النصّ بفهارس للأعلام ، والأماكن والمصادر التي استند إليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد استهلّ ابن طولون ذكر الأئمة الاثني عشر بقصيدة في وصفهم ، وذكر أسمائهم ، والشوق الى لقائهم ، من نظم أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (م ٥٥١ أو ٥٥٣) وهو مثل ابن طولون من علماء السنّة . ومن قصيدته هذه قوله :

ومصرع السبط فلا أذكره وفي الحشا منه لهيبٌ يَقِدُ
يرى الفرات ابن الرسول ظامئاً يلقى الرّدي وابن الرّديء يَرِدُ
حسبك من هذا وحسب مَن بغَى عليهمُ يومَ المعاد الصَّمَدُ

ومن (ص ٤٦) بدَت تراجم الأئمة ، وفي أول كلّ ترجمة ذكر المراجع التي استند إليها الأستاذ الدكتور المنجد في تحقيقاته ، وختم ابن طولون مصنّفه هذا بذكر أسانيده ورواياته المتصلة بهؤلاء الأئمة الأعلام ، أئمة آل البيت عليهم التحية والسلام .

وكلمتي في الختام : هي أن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للإسلام ، وهم المرجوّون لوراثة تلك الوحدة الدينية ، وتجديد ذلك المجد الدارس علماً وديناً وأخلاقاً ، وان أضرّ شيء علينا هو هذه العصبية الموروثة ، والعداوة الممقوتة ، والتفرّق الديني الذميم ، « إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وبمثل هذا الكتاب والقصيدة في تراجم هؤلاء الأئمة ، من جانب علماء السنة ، ووصف مفاخرهم ومآثرهم ، يُرجى زوال تلك الإحن ، وتوحيد الكلمة ، والتعاون على إنشاء دور للعلم مشتركة ، وإحياء ذكرى أئمة البيت عليهم السلام ، بتجديد هَدْيِهم وإصلاحهم ، إن شاء الله تعالى .

وقد بلغ التحقيق والطبع الغاية في الإتقان والإبداع ، فللأستاذ المحقق الدكتور صلاح الدين أطيب الثناء وأخلص الدعاء ، ولداريّ صادر وبيروت أعطر الشكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تفسير القرآن الكريم

التحرير والتنوير · المقدّمات ، وتفسير سورة الفاتحة وجزء عمّ

تأليف المولى الإمام ، الأستاذ الأكبر ، فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع الأعظم وفروعه . منشورات دار الكتب الشرقية . تونس

إنّ خير عمل يقوم به رجال الدين والعلم والإصلاح في هذا العصر ، هو هداية الأمّة إلى ما فيه إسعادها ، في معاشها ومعادها ، هداية مقتبسة من نور الحنيفية السمحة والقرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » وتفهيمهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، على وجه يشرب قلوبهم حبّه والعمل به ، وان جميع ما شرعه الله

للناس فهو لخير مجتمعهم الإنساني ، ولدفع الشرور والغوائل عنهم . وناهيك بعصرنا الذي كثر فيه اختلاط الأمم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزايا ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ، كما فتحت أبواب الفجور والمنكرات .

وهذا التفسير الجليل ، لهذا الإمام الكبير ، هو مدد قوي لأولي العلم والعرفان ، والبرّ والإحسان ، فيما يرجون من خير للأمة في هذا الزمان .

استهلّه مؤلفه بمقدّمات عشر ، هي من أصول التفسير ومقتضياته ، (فالأولى) في التفسير والتأويل ، وكون التفسير علماً . (والثانية) في استمداد علم التفسير . (والثالثة) في صحة التفسير بغير المأثور ، ومعنى التفسير بالرأي وغيره . (والرابعة) في غرض المفسّر . (والخامسة) في أسباب النزول . (والسادسة) في القراءات . (والسابعة) في قصص القرآن . (والثامنة) في آي القرآن وسوره وترتيبها . (والتاسعة) في أن المعاني التي تصلح جُمَل القرآن للحمل عليها ينبغي أن تعدّ مرادة . (والمقدمة العاشرة) في إعجاز القرآن ومبتكراته .

وقد بلغت هذه المقدّمات نحو مائة صفحة . وجاء في المقدّمة التاسعة (ص ٧١) :

إنّ المعانيَ التي تصلح جُمَلُ القرآن أن تحمل عليها ، ينبغي أن تعتبر مرادة ، وضرب لذلك الأمثال ، منها (ص ٧٥ و ٧٦) قوله تعالى : «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» ومثله : «استجابوا لله والرسول» والمراد في الآيتين الامتثال والهداية ، وقد حمل النبي ﷺ الاستجابة على المعنى الحقيقي ، وهو إجابة النداء في حديث أبي سعيد بن المعلّى الذي ناداه الرسول وهو في الصلاة ، فلم يُجِبْه حتى فرغ من صلاته اهـ باختصار . ومن هذا القبيل قوله (ﷺ) لأمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط حين جاءت مسلمة مهاجرة إلى المدينة ، وأبت أن ترجع إلى المشركين . قرأ النبيّ قوله تعالى : «يخرج الحيّ من الميّت» .

ويقول كاتب هذه السطور - بناءاً على ما تقدم - : إن ما يأتي هو مما يصلح أن تحمل ”جمل“ القرآن عليه، ويعتبر مراداً، وهو في قوله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول، فقوله (وأعدوا) هو أمر عام موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة والدفاع عن الملة والحوزة، وقد جاء اللفظ منكراً «من قوة» ليشمل كل قوة، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان. وفي عصرنا تعم بعموم اللفظين، - (ما) استطعتم من (قوة) - القوى البرية والبحرية والجوية. ومن معناها قوله تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي آمرة بصد كل عدوان يصدر من المجرمين، أو الأعداء المحاربين، وباعداد سلاح من جنس سلاحهم مما اختلفت أنواعه، وتعددت أسماؤه، وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) - وقد تلا هذه الآية - يقول: ألا أن القوة الرمي، قالها ثلاثاً، ولفظ الرمي - كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها.

ونحن لا نقول إن النصوص دلت على هذه القوى والأسلحة بأعيانها، أو سمتها بأسمائها، بل نقول: إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم. وفي سورة (يس): «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» وهذه الآية كما تدل على (سفائن البر والسراب بحارها) تدل بعمومها على القطر الحديدية، والسيارات البرية، والسفن الهوائية، وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود. ومثلها آية «ويخلق ما لا تعلمون». أفلا يصح أن يكون هذا الإيجاز الشامل طريقاً من طرق

الإعجاز ؟ بلى ! وإلاّ فما معنى كون القرآن لكلّ زمان ومكان ، وكونه لا تتناهى عجائبه [1] ؟ .

وإني مورد شذرة من أسلوب الأستاذ في تفسيره ، قال حفظه الله في تفسير : « إياك نعبد وإياك نستعين » : تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا لتحصيل حظوظهم الشريفة من طلب الهداية ، فانهم لما حمدوا الله وصفوه بصفات الجلال ، ثم أتبعوا ذلك بقولهم : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » الذي ظاهره خبر ، وفيه تعريض بالطلب ، لأنّ الحمد ، الحظ فيه للحامد ، بخلاف قولهم : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ففيه ثناء على الله تعالى بأنه المخصوص بالعبادة ، والاستعانة ، وفيه حظّ للعبد بأنه عابد ومستعين ، وانه قاصر على الله تعالى ، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب ، ـ انتقلوا به من ثناء إلى واسطة ، حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ، ورجوا ذلك من فضله ، أفضوا إلى سؤالهم ، فلذلك قالوا « اهدنا الصراط المستقيم » وهذا الوجه هو المناسب لكون الفاتحة ديباجة القرآن الذي جاء ليهدي الطالبين للهدى والرحمة ، فقوله : « إهدنا الصراط المستقيم » هو حظ الطالب خاصة ، وشروع في طلب ما ينفعه عاجلاً وآجلاً اهـ .

كتب شيخ الجامع الأعظم الزيتوني في تفسير هذه السورة ما يقرب من ثلاثين صفحة ، ولا يستكثر هذا على سعة علمه ؛ وفي التفسير القيّم للإمام ابن القيّم (م ٧٥١ هـ) استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ، وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أنّ هذا الإمام يرى أنّ سِرّ الخلق والأمر والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد ، وإياك نستعين » وانه قد شرح « منازل السائرين إلى الله » لأبي اسماعيل الهروي

(١) من مقال لنا في إعجاز القرآن ، نشرناه في مجلة المجمع العلمي (م ٣٠ / ٥٦٠ — ٥٧١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بثلاثة مجلدات كبار ، وسمى شرحه : (مدارج السالكين ، بين منازل : إياك نعبد وإياك نستعين) ومَن وقَفَ على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : (لك يا منازلُ في القلوب منازلُ) .

وقد بلغ هـذا التفسير ، المسمَّى بالتحرير والتنوير ، (٣٧٨ صفحة) . وذكر الأستاذ في مقدمته أهمَّ كتب التفسير المطبوعة ، وقال : ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها ، وقد ميَّزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه ، وما أجليه من المسائل العلمية ، وأقوال العلماء مما لم يذكره المفسِّرون ـ بعلامة نجم في ابتدائه ، ونقطة غليظة في انتهائه اهـ .

قلت : لم يعجز الأستاذ الأكبر بحمد الله أن يكون مصداق المثل السائر : (كم ترك الأول للآخر) مدَّ الله في حياته ، وبارك في أوقاته . وكنا نودّ أن تكون الآيات الكريمة المفسَّرة مشكولة شكلاً تامًّا ، ومثلها آيات الشواهد ، مرفقة بأرقامها وأسماء سورها ، ليسهل الرجوع إليها ، وأن تُعزَى الأحاديث النبوية إلى مخرجيها أصحاب الصحاح والسُّنَن والمسانيد ، وأن يُضاف إلى إصلاح الأغلاط في الكتاب ما يأتي : (ص ٨٥ س ٢١) بفصاحته : بفصاحته . (٩٦ / ١٣) لو كان فيهم : فيها . (٢٦٣ / ٢٠) إخوانه الصغار وأخواته : إخوته وأخواته . (٣٤٥ / ١) صحيحات مال : صحيحاتِ (٣٤٥ / ٢٣) طرقه : طرَّقة (٣٥٧ / ٢٥) المانعون : الماعون .

ولعلَّ صديقنا الأستاذ «الفاضل» نجل أستاذنا الأكبر يتولَّى ذلك كلَّه في طبعة ثانية برعاية والده الإمام وعنايته ، إن شاء الله تعالى .

محمد بهجة البيطار

أنا والشعر

للأستاذ شفيق جبري

وهو يشتمل على عشر محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته ١٣٥ من القطع الوسط

لم أرَ أحداً من شعراء العرب في القديم والحديث كان أذكر لتجاربه الشعرية من صديقي الأستاذ شفيق جبري . فقد ذكر في هذا الكتاب تجاربه الشعرية بمنتهى الإخلاص والصراحة ، فتكلم على أول عهده بنظم الشعر ، وعلى تجربته الشخصية في الشعر الوطني والشعر الغنائي والمراثي ، وعلى مذهبه في النظم من حيث وحدة القصيدة وصيغتها والفكر الرياضي في أدبنا ، وختم محاضراته هذه بالكلام على سحر العبقرية الفنية بوجه عام ، وعلى مستقبل الشعر بوجه خاص .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما أول عهده بالشعر فيرجع الى سنة ١٩١٣ وهي السنة التي ترك فيها المدرسة الثانوية وانصرف الى مطالعاته الخاصة ، فحفظ شعر المتنبي وطائفة من شعر المعلقات ، وقرأ شعر البحتري والشريف الرضي ، وعاشر فريقاً من الأساتذة الذين تتفاوت أذواقهم في فهم الشعر النقي الخالص كخير الدين الزركلي ، والشيخ فؤاد الخطيب والشيخ رضا الشبيبي وغيرهم ، وتدرج في ذلك حتى أكسبه الحفظ ملكة شعرية راسخة ، فنشر أولى قصائده وهو دون العشرين من سنه ، وهي قصيدة في الرثاء قلّد فيها رثاء الشريف الرضي لأبي اسحق الصابي . ولا عيب في ذلك فإنّ المتنبي والبحتري كانا يقلدان أبا تمام . والتقليد كثيراً ما يقع في أول نشأة الشاعر ، ثم يأتي بعده الاستقلال والانفراد . ثم انه لما فرغ من هذه القصيدة بحث عن مصدر آخر يستلهمه الشعر فرأى أن يستعين بنظرات المنفلوطي لعله يجد فيها ما يلهمه شعراً ، فوقع على أول نظرة من نظراته وعنوانها (الغد)

فنظم قصيدته (خيال الغد) ضمّنها بعض معاني المنفلوطي ولكنه لم يتقيد فيها بكل ما جاء في نظراته . ثم بحث عن مصدر آخر يقتبس منه فكرة جديدة فوجد في مختارات من الأدب الفرنسي قطعة لـ (ماسيون) عنوانها الزمان فألهمته موضوع قصيدة لم يأت فيها بشيء مما جاء في تلك القطعة ، ولكنه وصف فيها الزمان على النحو الذي ألفه شعراؤنا في الماضي . وهكذا كان شفيق جبري في أول عهده بالشعر يقتبس أفكاره من الكتاب والشعراء ويصوغها في قالب شخصي يبتكر صوره كما يشاء بحسب ذوقه وفنه ، ويفرغها في ألفاظ موسيقية جميلة يعنى برصفها عناية بالغة ، ولا غرو فان حكم المعاني كما يقول الجاحظ « خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة » وانما تحيا تلك المعاني في الألفاظ ، فهي التي تجعل المجهول معروفاً والوحشي مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الألفاظ يكون إظهار المعنى .

هذا ما ذهب اليه شفيق جبري في شعره الوطني وشعره الغنائي وفي مراثيه . لقد كان شعره الوطني في أول عهده تحريضاً على الأجنبي ، وحثاً على الثورة ، ودعوة الى القومية العربية ، فانقلب بعد ذلك الى شعر غنائي يتغنى فيه الشاعر بجمال بلاده تارة ، ويلتجئ الى أحضان الطبيعة تارة ، وينفس بذلك كله عن النار المتأججة في قلبه بشعر هادئ في ظاهره حماسي في باطنه موسيقي في ألفاظه . فلم يكن التجاؤه الى الطبيعة إلا أسلوباً في التعبير عن ألم البلاد ، والا سبيلاً الى النوح والتغني بأشجان الوطن وآماله . انظر الى قصيدته التي قالها في نوح العندليب على أثر أزمة عاطفية :

دع العندليب على غصنه يردد على الغصن أحزانه

فان هذه القصيدة التي صور بها شعوره وعاطفته وآلامه الشخصية انقلبت في نهايتها الى شعور وطني بكى فيه الشاعر وطنه فختمها بقوله :

أتبكي العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه

لقد غلبت هذه النزعة الوطنية على نفس الشاعر فكان كلما أتيح له الافصاح عن شعوره الوطني في حفلة من حفلات التكريم أو التأبين تغنى بوحدة العرب وقوميتهم ، فكأنّ غايته الأولى من شعره التعبير عن آلام بلاده لا عن آلام نفسه ، ومع انه ليس من الضروري أن يحبس الشاعر نفسه على التغني بالوطن ، ولا أن يتكلم على نزعاته الخاصة ويصور أفراحه وأحزانه الخاصة دون أن يصور آلام بلاده ، فإنّ الفرص التي أتيح لشفيق جبري فيها الافصاح عن حبه وخوالج نفسه كانت قليلة جداً في حياته . لقد أحب الطبيعة حتى ملكت عليه مشاعره ، ولكنه لم يعط هذه الطبيعة التي أحبها ما تستحقه من العناية ، بل كان اذا صور جبالها وسهولها وأنهارها وبحارها وأوديتها وغاباتها لا يصور إلاّ حالة وطنه النفسية والاجتماعية ، فلم يستطع أن ينظر الى الطبيعة نظرة مجردة ، وانما كانت الطبيعة سبيلاً الى تصوير شعوره الوطني .

وكما أحب شاعرنا الطبيعة فكذلك أولع بالمرأة ووقع في أزمات عاطفية عنيفة ، ولكن أثر ذلك في شعره قليل جداً . لقد نظم في المرأة عدة قصائد ، ولكن المرأة التي تخيلها في هذه القصائد لم تكن إلا ذلك المخلوق الضعيف الذي حرمه المجتمع أبسط حقوقه الطبيعية ، فكان يرمز بمقام المرأة في المجتمع الى مقامها في قلبه ، ويكتفي بهذا الأسلوب الرمزي للتنفيس عما يشعر به . ولعل ذلك ان يكون من تأثير الحياة الاجتماعية في نفسه ، أو من فرط حسه ، أو من شدة شعوره الوطني . لم يحب أحد أمه مقدار حبه لأمه فشغل حبها كل ناحية من نواحي قلبه فلما توفاها الله لم يقل فيها الا أربعة أبيات ، ومن أغرق في الحزن غرقت نفسه فيه فلم يجد في اللغة ألفاظاً يعبر بها عنه ولا في الشعر صوراً تسكن لواعج قلبه .

أما القصائد التي رثى بها شفيق جبري طائفــةً من رجال الأدب والشعر والسياسة فقد حاول أن يبرز فيها خصائص كل رجل على حدة بحيث تكون هذه الخصائص عبرة للناس . فجاءت كل قصيدة من هذه القصائد مشتملة على صور لا تنطبق إلاّ على الرجل الذي قيلت فيه ، ومشتملة في الوقت نفسه على

أطوار متصلة بالصورة الأصلية . فاذا رثى شاعراً كولي الدين يكن اغتنم الفرصة للتغني بمنزلة الشعر في الأمم ، وإذا رثى فوزي الغزي تكلم على ثورة الشام وبطولاتها ، واذا رثى (سعد زغلول) تكلم على الزعامة وأثرها في توحيد كلمة الشعب . وأنت اذا قرأت قصيدته في رثاء حافظ ابراهيم رأيت أن الصفة البارزة التي صورها في رثائه هي بؤس حافظ ، واذا قرأت قصائده في المتنبي والمعري وشوقي رأيته يحاول أن يصور حياة كل واحد منهم من جميع نواحيها . فالمتنبي في نظره شاعر مفرط الحس شديد القلق والاضطراب ، همه ادراك المعالي والابتعاد عن اللذات الخسيسة ، والمعري شبيه بالمتنبي في فرط حسه ، ولكنه متقشف في حياته زاهد في الدنيا الخ .

ولم يكن لشفيق جبري شرط خاص في نظم الشعر ، فقد نظم الشعر في أمكنة مختلفة وشروط مختلفة ، ولكن المهم كما يقول ان يهتدي الشاعر الى مطلع جديد ، فاذا جاء المطلع على النحو الذي يرضيه هانت عليه القصيدة . فالمطلع في نظره هو مفتاح القصيدة ، ولكنه لا يكفي للايحاء بجميع المعاني التي يحتاج اليها الموضوع ، فلا بدّ إذن من الفكر لتصور بنية القصيدة تصوراً كاملاً . لقد كانت قصائد شفيق جبري الأولى بالرغم من تماسك الأجزاء في مقاطعها خالية من التخطيط والتنسيق ، لأنها كانت تعبر عن الثورة المتأججة في قلبه ، فكانت نفسه تثور فتأتي القصيدة بحسب هذه الثورة . أما قصائده الأخيرة فقد تخيل فيها أجزاء الموضوع ورتبها ترتيباً منطقياً فجاءت مشتملة على وحدة تامة لا تجد فيها بيتاً يحسن تقديمه أو تأخيره ، وهذا لعمري فتح جديد في الشعر العربي ، لأن أكثر شعرائنا في الماضي لم يعتنوا بوحدة القصيدة ، ولا خطر ببالهم تنسيق أجزائها ، مع أن التنسيق ضروري لتحديد أجزاء الموضوع واستيعاب جميع أقسامه . ومتى رتب الشاعر هذه الأجزاء استطاع أن يلج في كل جزء منها بالصورة اللازمة له ، ولا يزال ينتقل من جزء الى جزء حتى تظهر وحدة القصيدة في أكمل وجه .

أما مذهبه في صيغة القصيدة فيقوم على تصور الموضوع وجمع الصور وتخمير الأفكار وانتقاء الألفاظ ، فاذا تم له ذلك بحث عن البحر المناسب لمعاني القصيدة ، فاذا اهتدى الى هذا البحر فتش عن القافيـة المناسبة ، ثم اذا اجتمع له البحر والقافية بحث عن المطلع المناسب ، وفي هذا البحث كما ترى جهد فكري ، نعم ان الشاعر قد يبلغ هذه الأمور عفواً كما حدث ذلك لشفيق جبري في أول عهده بالشعر ، ولكنه لا يبلغ الكمال الا بهذا الجهد الفكري المبـدع . لا يعرف هذا الجهد إلا من يعانيه ، فهو الذي يخمر الأفكار ، وهو الذي يفجر ينابيع الصور ، ويكشف عن تناسقها العميق وانسجامها الدقيق . نعم ان الشاعر في أول عهده لا يفكر في التنقيح والتنسيق ، ولكنه اذا أدرك سر الإبداع فطن لما بين الأفكار من تناسب هندسي ، ولا يزال يفكر في هذا التناسب حتى يحذف المنافر والمنافي . أما العناية بالألفاظ فهي ضرورية للشاعر في كل مرحلة من مراحل شعره ، لأن الألفاظ كما يقول شفيق جبري هي سر الشعر وروحه . فهي التي تبرز صوره وتظهر محاسنها . ان بينهـا وبين الصور صلة روحية عميقة ، ومها تكن الصورة جميلة فاذا لم ترزق لفظاً جميلاً يشاكلها فيضمها ويليها فقدت الشيء الكثير من جمالها .

وسهولة اللغة في نظر صديقنا الشاعر أساس البلاغة ، قال : « لقد شبهوا هذه السهولة بضياء الشمس ، فقد يبدو شعاع الشمس للعيون أبيض صافياً ، ولكنا اذا حللنا عناصره وكشفنا عن الطيف الشمسي وصلنا الى ألوانه الزاهية العجيبة ، ألا أن هذه الألوان قد اختفت وراء بياض الشعاع الناصع ، وكذلك سهولة اللغة فانها تخفي وراءها عناصر البلاغة التي أنشأت هذه السهولة ومهّدت السبيل اليها » ، (ص ٩٨) فوراء الألفاظ اذن عدد لا نهاية له من الصور ، والإبداع الفني انما هو إظهار الصور المخزونة في الذهن بواسطة الألفاظ المتخيرة . كأن اللفظ الموسيقي هو الذي يقدح بالذهن فتخرج منه النار ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولولا ذلك لما ظهرت الصور ، ولما رأينا ألوانها المنسقة العجيبة . وهذا طبيعي في الشعر ، لأن الشاعر لا ينتقل من المجرد الى المحسوس ، بل ينتقل من المحسوس الى المحسوس ، حتى اذا تجلى له المحسوس بجميع صوره وألوانه ارتقى منه الى فكرة عامة مجردة تحيط بذلك المحسوس احاطة تامة . وجمال اللفظ في الشعر انما يكون باقترانه بلفظ آخر يناسبه ، فلا تدب فيه الحياة الا اذا انتزع من موضعه في المعجم وقرن في الشعر أو في النثر بلفظ يماثله .

ولكن كيف يهتدي الشاعر الى الصورة ، فهل تجيئه الصورة ثم يجيئه اللفظ أم اللفظ هو الذي يوحي اليه بالصورة . يقول شفيق جبري في الجواب على هذا السؤال إن الألفاظ هي التي تستدعي الصور ، وهذا أمر مجرب يعرفه علماء النفس كما يعرفه الشعراء ، ولكن كثيراً ما تجيء الصور والألفاظ معاً دون أن يفصل بينها زمان ، وسبب ذلك ارتباط الصورة باللفظ ارتباطاً محكماً . وما قيمة الصورة التي لا تستطيع أن تدل عليها بلفظ يناسبها ، إنها لا تثبت في الذهن بل تبقى غامضة كالليل متموجة كالسحاب .

فأنت ترى أن كتاب (أنا والشعر) الذي أتحفنا به صديقنا الشاعر يشتمل على تجارب جميلة واعترافات صادقة وملاحظات نفسية عميقة . وهو أول كتاب نجد فيه شاعراً عربياً يحلل تجاربه الشعرية ، ويكشف عن أسرار فنه بمنتهى الصدق والصراحة ، ومن حسن ذوق المؤلف انه مثل لنا تجاربه الشعرية بأشعار مختيرة ، فجاءت هذه الأشعار معبرة عن فنه أحسن تعبير . بيد أن تجارب شفيق جبري كثيرة لم يتسع كتابه لذكرها كلها ، وقد رزقه الله من قوة الخيال وحسن التعبير وصدق العاطفة ودقة التصوير ما جعله مصوراً حاذقاً يقف من تجاربه الشخصية موقف العالم من حوادث الطبيعة ، فنرجو أن تتاح له الفرصة لتأليف كتاب جديد يضمنه تجاربه في النثر ، ولا شك أننا سنجد في قراءة هذا الكتاب الجديد ما وجدناه في مطالعة الكتاب الأول من لذة ومتعة وفائدة .

جميل صليبا

تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك

تأليف عارف العارف

طبع الكتاب بمطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ،
في (٢٤٨) صفحة من القطع الوسط

نشر الأستاذ المؤلف قبل سنين كتاب (تاريخ الحرم القدسي) ثم ظهر له فيما بعد نواح جديدة لا بد من استجلاء غوامضها ، والتوسع في دراساتها ، على ضوء ما انتهى اليه تحقيقه ، وما توصل اليه في هذا البحث غيره من المؤلفين والباحثين ، فأعاد طبعه باسم جديد وهو (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك) ، وأضاف اليه لمحة من تاريخ بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

يحتوي الكتاب على خمسة فصول ، تناول في الأول تاريخ القدس ، ويحث في الثاني عن قبة الصخرة المشرفة ، وخص الفصل الثالث بالمسجد الأقصى المبارك ، ووصف في الرابع الحرم القدسي في يومه وأمسه ، وذكر في الخامس المعتقدات التي نشأت في تكريم هذه الأمكنة المقدسة والأساطير التي نسجت حولها ، وما قيل في استنكار رجال الدين لأكثرها .

وقد دعم أبحاثه بنصوص نقلها عن السلف أو بما عثر عليه منقوشاً على جدران الحرم ، كما اعتمد على آراء أهل المعرفة وذوي الاختصاص .

وقد جاء هذا الكتاب على أكمل وجه بدقة أبحاثه وسعة محتوياته . جمع فيه المؤلف زبدة الأقوال والأبحاث والدراسات ، ودون معلوماته الشخصية التي رافقها وشارك الرأي فيها ، بحكم منصبه آنذاك في رئاسة بلدية مدينة القدس .

ومن الملاحظات البسيطة التي عثرت عليها في ضبط بعض الأعلام ويحسن

التنبيه اليها وإن كانت لا تخفى على القارىء ، منها : في (ص ٢٥) المرقال بن هشام وصوابها المرقال هشام بن عتبة ، والمرقال هو لقبه . وعروة بن مهلهل بن زيد الخيل ، صوابها عروة بن زيد الخيل بن مهلهل ، ومسبب الفزاري صوابها مسيب الفزاري .

تشهد أبحاث الكتاب عن تمكن المؤلف من موضوعه ، فنشكر له جهده وعنايته .

٥٥ ألف كيلو متر على دراجة نارية

للرحالة العربي عدنان حسني تللو

كتاب في (٢٨٩) صفحة من قطع الوسط مزدان بالصور والمخططات

طبع في مطبعة الإنشاء بدمشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن حب الأسفار للاستطلاع أو الكسب هو خلق أصيل في نفوس العرب ، نجده عند حضرهم وبدوهم على حد سواء . وأكثر ما تتجلى هذه النزعة عند عربان البادية ، فهم أبداً على سفر ، لا يستقر لهم قرار ، لا صيفاً ولا شتاء ؛ فقد آثروا هذه الحياة المشردة بقرها وحرها وشظف عيشها ، على حياة الحضر وسكونها ويسر معاشها . وقد فرض الله تعالى على من له قدرة من عباده أن يسير في الأرض لينظر ويعتبر ، ويُلم غيره بما علم . وأطنب شعراء العرب بمدح الخلفاء والملوك والأمراء بالسير في البلاد ومعرفة الأمصار ، وتنافس بذلك رواد السلف ، كابن فضلان ، وابن جبير ، والبكري ، والهمداني ، وابن بطوطة ، وياقوت ، فخلفوا آثاراً خالدة بما شاهدوه في رحلاتهم وحصيلة تطوافهم .

وجاء حين من الزمن خمدت فيه الهمم ، وزهد الناس بالرحلات العلمية على

يسرها في عصرنا ، واستعاضوا عنها بأسفار المتعة والترويح عن النفس ، كأن ليس لهم قلوب تعقل ولا عيون تبصر ، يستأثرون بمشاهداتهم ، ولا ينتفع بها أحد .

وأراد صاحب هذه الرحلة الشاب الجريء السيد عدنان تلاو أن يصل ما انقطع من سيرة السلف ، وأن يكون من الرواد العاملين ، فضرب بقدح معلى باقدامه وسمو غايته ، وحزم أمره على مغامرة ، وهو لا يملك من أسبابها إلا عزيمة الشباب وقوة الإيمان ، فطاف بوسائله الخاصة على دراجته النارية بلاد الأردن ، والعراق ، وايران ، وباكستان ، والهند ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفياتي ، وفنلندة ، والسويد ، والنرويج ، والدانمرك ، وألمانية ، وبولونية ، وتشيكوسلوفاكية ، وهنغارية ، والنمسا ، وهولندة ، وبلجيكا ، وسويسرة ، وايطالية ، واسبانية ، والبرتغال ، والمغرب العربي ، وتونس ، وليبيا . وكان حيث حل ، خير رسول ، وأفضل ممثل للشباب العربي الوثاب ، ورجع الى بلده مزوداً بأطرف الأخبار عن رحلته ، أودع حوادثها هذا الكتاب ، وقد وصف فيه طبيعة البلاد التي زارها ، وحدثنا عن تقاليد سكانها ، وروى ما لاقاه من ترحيب واعراض ، وما كابده من عسر وعناء . وقد وجدناه بعد عودته من هذه المشاق أمضى عزيمة ، وأقوى شكيمة ، عما كان عليه قبل هذه الرحلة ، وهو مصمم على مواصلة رسالته لتعريف العالم بالبعث العربي الوثاب .

جعفر الحسني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإمام الصادق ملهم الكيمياء

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

تفضل المجمع العلمي الموقر وكلفني بالتعريف بهذا الكتاب الذي سبق لي أن اطلعت على بعض محتوياته حين أهداني مؤلفه نسخه من الطبعة الأولى ·

ولما كنت قد قرأت النسخة الأولى بإمعان وتلا ذلك سفرات الى مناهل العلم في القاهرة تمت خلالها مناقشات في هذا الموضوع بيني وبين المرحوم الدكتور عبد الحميد أحمد عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب فقد تكونت لدي فكرة جيدة عن هذا الكتاب خرجت منها بأن كل ما ذكر عن علاقة الإمام جعفر الصادق بالكيمياء وهم لا صحة له وأن الكتب التي نسبت اليه ألفت بعد وقت طويل من وفاة الإمام ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان جابر بن حيان نفسه لم يصرح بوضوح أنه ألهم الكيمياء من الإمام الصادق بل كل ما هنالك ، ان صح وجود علاقة بينهما ، إلهامات روحيــة ودينيه لا تمت للكيمياء بصلة ما ·

والطبعة الثانية من الكتاب حوت مقدمة كبيرة استعرضت تقدم العلوم عند العرب وتناولت أبحاثاً يشكر عليها المؤلف كعرضه لنظرية روسكا وتدقيق هولميارد · ولا أظن المؤلف إلا مشاركي في الرأي بأن التعرض لتشيع أبي العلاء وتصوف جابر كلها بعيدة كل البعد عن الغرض من وضع الكتاب وموضوعه ·

وعلى كل فللمؤلف الشكر على الجهود التي صرفها لنشر هذا الكتاب ولعل من يتناوله ينتفع ببعض ما به ·

حسن السقا

آراء وأنباء

الدكتور عبد الوهاب عزام

١٨٩٤ ـ ١٩٥٩

اغتالت المنية علماً من أجل أعلامنا ، هو الزميل الراحل الدكتور عبد الوهاب عزام ، جزعت له نفوس عارفي فضله وأخلاقه ، وعم الأسى الأوساط العلمية في دنيا العرب ، فقد ترك المرحوم بموته في الثقافة العربية صدعاً قد يطول جبره ، انفرد بين العرب المعاصرين باختصاص زهد به غيره ، وقد دأب على دراسة الثقافة التركية والفارسية والاردية فتبحر في آدابها وتاريخها ، ونقل الى العربية روائع آثارها .

وكان رحمه الله فضلاً عن علمه الغزير ، يتحلى بالشمائل الطيبة ، والأخلاق الحميدة ، والمروءة الصادقة ، وكان وفياً لزملائه ، أميناً لعلمه ومترفعاً عن استثماره .

وهو عضو بالمجمع اللغوي المصري والمجامع العلمية في سورية والعراق وايران .

ولد المرحوم سنة ١٨٩٤ في شوبك الغربي في الاقليم المصري وأسرته ليبية الأصل وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، وعين مدرساً بها سنة ١٩٢٠ ، ثم عهد اليه الإمامة في السفارة المصرية في لندن ، ونال سنة ١٩٢٣ إجازته في الآداب من الجامعة المصرية ، والتحق سنة ١٩٢٤ بجامعة لندن ودرس اللغة الفارسية ، فنال شهادتها بدرجة أستاذ في الآداب سنة ١٩٢٧ . ثم عين مدرساً في جامعة فؤاد الأول ، وتولى فيها تدريس الأدب العربي واللغة الفارسية والتركية ، ونال شهادة الدكتوراه برسالة عن الشاهنامة . ولما أنشئ معهد اللغات

الشرقية في جامعة فؤاد الأول تولى رياسته ، ثم صار عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٤٥ .

ثم انتقل من أسرة التعليم الى السلك السياسي الخارجي فعين سفير مصر في المملكة السعودية وباكستان ، ولما تقاعد من مناصبه الحكومية استدعته حكومة المملكة السعودية لأجل تأسيس جامعة في الرياض حيث توفاه الله وهو على رأس عمله وبأتم نشاطه .

كان رحمه الله يجيد اللغة الفرنسية والانكليزية والفارسية والاردية والتركية ، وزار بلاد فرنسة وبريطانية وايطالية وسويسرة وبلجيكا وتركية وباكستان وايران وجميع الأقطار العربية . وله زهاء عشرين كتاباً في التاريخ والآداب العربية والفارسية والتركية والاردية ، بعضها مترجم من الفارسية والاردية منها :

١ — ترجمة كتاب الشاهنامة الى العربية .
٢ — كتاب التصدق وفريد الدين العطار .
٣ — كتاب فصول المثنوي .
٤ — خلاصة تاريخ الأدب الفارسي .
٥ — ترجمة جهار مقالة الى العربية .
٦ — ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام .
٧ — نشر ديوان المتنبي مع مقدمة وافية .
٨ — نشر كتاب كليلة ودمنة مع تعليق ومقدمة وافية .
٩ — كتاب الرحلات .
١٠— مقالات أدبية ومنظومات .
١١— نشر رسائل الصاحب بن عباد .
١٢ — الشوارد .

١٣ – المثاني .

١٤ – مجالس السلطان الغوري .

١٥ – محمد اقبال .

١٦ – مذكرات في تاريخ الأمة العربية .

١٧ – مهد العرب .

١٨ – موقع عكاظ .

وغير ذلك من المؤلفات والمحاضرات والمقالات في المجلات ، وعزاؤنا بالفقيد الراحل ما خلفه لأمته من آثار خالدة تحيي ذكراه رحمه الله رحمة واسعة وضاعف حسناته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية

من حياة : شيخ الإسلام ابن تيميــة

كنت نشرت فصولاً في مجلات مجمعنا العلمي بدمشق في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم طبعت تلك الفصول مستقلة في الجزء الثاني من محاضرات المجمع العلمي الذى طبع (سنة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م) ص ٦١ — ١٢٩ من بعد أن حاضرت فيها في قاعة المجمع ؛ وهذه الفصول والعلاوات أولها : تاريخي علمي تضمن دفع الفرية التي وردت في رحلة ابن بطوطة ، عن حديث نزول الرب كلّ ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه قال ـ وهو يخطب الجمعة على منبر دمشق ـ كنزولي هذا ، ورددناها بثلاثة أمور : الأول أن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد ، بل كان واعظاً ومدرساً . والثاني أن ابن بطوطة لم يره ولم يجتمع به ، إذ كان وصول ابن بطوطة إلى دمشق في أواخر شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وابن تيمية دخل قلعة دمشق في أوائل شعبان (سنة ٧٢٦هـ) ولبث فيهـا الى أن توفاه الله تعالى سنة ٧٢٨ هـ . والثالث أنه ذكر حديث النزول في مواضع من كتبه ولم يقل فيها كنزولي هذا .

العلاوة الثانية : في اختياراته ومنها قضية الطلاق في الإسلام .

(٣) ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد .

(٤) تحقيقه لوحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، عليهم السلام .

ثم رأيت لبعض مؤرخي عصرنا المحققين كتاباً مستقلا في حياة الشيخ ، وفيه مباحث تاريخية علمية دينية ، تتعلق بسيرته رحمه الله وفيها وهم واشتباه ، فكان عليّ أن أنبه إلى ذلك ، لتكون حياته الطيبة خالية من الشوائب التي علقت بها ، وإن لم يكن معصوما ، ولتكون (علاوة خامسة) على العلاوات الأربع التي نشرت مع المحاضرة

(ص ٦١ — ١٢٩ ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي) فمنها دعوى منعه زيارة القبور، لا سيما قبور الصالحين، وأعظمها قبور الأنبياء والمرسلين، لا سيما خاتم النبيين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم. وقد أجاب عن هذا بقلمه، ودفع الفرية بنفسه، فقال: «إن السفر إلى مسجده، وزيارة قبره ـ كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج ـ عمل صالح مستحب.. بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور سكان البقيع وشهداء أحد، واذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى»[(١)].

وقد ذكر في كتاب التوسل والوسيلة كيفية الزيارة وأدبها، وكذا في كثير من رسائله، وإنما منع أمرين اثنين: الزيارة الشركية المبتدعة، وشد الرحل لمجرد الزيارة (أي بلا نية شد الرحل الى المسجد النبوي والصلاة فيه).

وقد وهم بعض المؤرخين فظن أن الروضة هي بيت السيدة عائشة الذي دفن فيه النبي (ﷺ) أو هو جزء منها، والصواب أنها بين منبره وبيته كما هو نص الحديث الصحيح: «ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة» والصلاة فيها مطلوبة، ولا دخل للقبر الشريف في مكان الصلاة أصلاً، ولم يكن بيت أم المؤمنين مصلى للناس في عهده (ﷺ) فكيف بعد أن دفن فيه، وقد قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

اتهم شيخ الاسلام بتشبيه الله تعالى بخلقه أو التجسيم، على كثرة ردوده

---

(١) ص ١٤ و ١٥ من الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية.

على المشبهة والمجسّمة ، كما كان يردّ على القدرية والجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولة والمعطّلة ، وهو لا يزيد على ما وصف تعالى به نفسه ، في مثل قوله : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فقد أثبت في هذه الآية لنفسه ذاتاً وصفات ، وفيها التنزيه عن المماثلة :

لا ذاته تشبهها الذواتُ ولا حكت صفاتِه الصفاتُ

وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله : «رفيع الدرجات ذو العرش» أي إنه سبحانه أرفع المخلوقات ذاتاً وصفات ، وأعظمها شأناً ، وأعزها سلطاناً ، وكل شيء محتاج إليه ، وهو مستغنٍ عما عداه ، وهو مالك العرش ومدبّره ، فهو مستولٍ على عالم الأجسام ، وأعظمها العرش ، كما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له .

ألا وإنَّ هذا العصر الذي نعيش فيه ، هو عصر الصعود والارتفاع ، عصر الأقمار الصناعية والصواريخ ، يتبارى الشرق والغرب في إطلاق هذه الكواكب المصطنعة في الفضاء ، فترتفع في الساعة الواحدة ألوفاً كثيرة من الأميال ، ولكنها مهما علت فلن تبلغ السموات العلى ، لأنّ بيننا وبينها ملايين الأميال ، فأين سرعة هذه الأقمار الأرضية والصواريخ من سرعة هذا الضوء أو النور الإلهي «الله نور السموات والأرض» .

وقد صرّح بعض أقطاب الفلك بأن سرعة الضوء ، قد قدّرت بثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية ، وأن الضوء في سرعته هذه يطوف المحيط الأرضي الاستوائي ـ وهو أطول محيط من الأرض ـ يطوفه سبع مرات ونصف مرة في ثانية واحدة ، وضوء الشمس يصل الى الأرض بثماني دقائق واثنتي عشرة ثانية ، على بعدها الشاسع عنا البالغ (١٤٩) مليون كيلومتر ، على أن هذه المسافة بيننا وبين الشمس لا يقطعها قطار سرعته (٩٠) كيلومتراً في الساعة إلاّ بمدة (١٧٢) سنة . والله تعالى عال فوق سمواته ومخلوقاته ، لا يحل فيهم ،

ولا يمتزج بهم ، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء ، وذلك معنى قوله : «وهو معكم أينما كنتم» .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبازرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمنا ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علما .

قال ذلك العالم المؤرخ الذي أشرنا اليه في صدر هذا الحديث : هل العبارات المروية عن أولئك الائمة الأعلام صريحة في إثبات جهة العلو والاستواء بمعنى من جنس معنى الجلوس ؟ إن العبارات المروية عنهم الى التفويض أقرب منها إلى التفسير وإبداء الرأي في معنى معين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجواب أنا قدمنا بعض العبارات الصريحة لأولئك الائمة الأعلام في إثبات صفة العلوّ المطلق (لا النسبي) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ومستغن عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، فلا جلوس ولا مماسة ولا استقرار . وأما التفويض ففي الكيفية ، لا في أصل المعنى ، كما اشتهر عن الإمام مالك قوله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » أي ان معنى (الاستواء) معلوم وهو العروج والصعود والارتفاع ، ولكن الكيفية مجهولة .

وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي (ﷺ) السموات سماء سماء ، حتى انتهى الى ربه تعالى ، فقربه وأدناه ، وفرض عليه الصلوات .

وقد اعتذر هذا المؤرخ عن دراسة كتاب (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) لكيلا يشغله عما هو فيه من دراسة فقه الإمام .

وأقول : إني قد درست هذا الكتاب دراسة مفصّلة ، وكتبت عنه في مجلة مجمعنا العلمي فصلاً مطوّلا ، في جملة الفصول التي نشرتها عنه في المجلة في بضع سنين .

وأما الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت فقد أجاب عنها الإمام ابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة بقوله :

ولو كانت الاستغاثة بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة ، لطلب من النبي (ﷺ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة والإمارة في الغزو ، وإرسال البعوث وعقد الألوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق ، وقسم المواريث والغنائم ، والفيء والصدقات الخ[1] .

وأقول ـ تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : إن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفّين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحسّ والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ ما يتجدّد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام .

تصحيح : جاء في أواخر الكتاب الذي نوّهنا به في هذا المقال ـ في ابن تيمية ـ استطراد ، ذكر فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوج بنت الأمير محمد آل سعود ، والصواب أنه (رحمه الله) قد تزوج بجوهرة بنت عثمان بن معمّر ، كما ترى في الكتب التي ترجمت له .

محمد بهجة البيطار

---

(١) ملخصة من (ص ٨١ و ٩٢ و ١١٠) ه‍ .

أسرار العربية لكمال الدين الأنباري

تمتاز كتب كمال الدين الأنباري بأسلوبها المبسوط وعباراتها الواضحة . لا يقصد في كتابته إلى الإيجاز والإلغاز ولا يكتفي باللمحة الدالة والإشارة المفهمة فلا عجب في أن كان أسلوب كمال الدين نسيج وحده بين الأساليب العلمية .

وقد عرف المستشرقون من علماء أوربة فضل كتب الأنباري فسبقونا إلى طبعها ونشرها .

فكتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين طبع أول ما طبع في ألمانيا وقد صنع له ناشره مقدمة طويلة باللغة الألمانيـة وهي تعتبر كتاباً مستقلاً جديراً بالنشر ـ ولما تعذر الظفر بنسخة من الإنصاف قام أستاذنا الشيخ محمد محيي الدين بطبعه مرات في سنوات فيسر النفع به كما جعل اقتناءه على طرف الثمام وحبل الذراع وبقيت مقدمته الألمانيـة بعيدة منا مطوية عنا وما أشد حاجتنا إلى أن نعرف ما اشتملت عليه من البحوث وما عالجته من المسائل .

وقد علق بظني بعد أن قرأت الإنصاف أن هوى كمال الدين مع البصريين إذ لم ينتصر للكوفيين إلا في سبع مسائل من ١٢٠ مسألة وقلت إن مذهب الكوفيين وصل إلينا عن طريق كتب هواها بصري ولو وصل إلينا بأقلام كوفية لتغير تقديرنا له ونظرتنا إليه .

ولكني بعد أن قرأت في معاني القرآن للفراء ومجالس ثعلب ورأيت كيف يعبر الكوفيون عن آرائهم ويدافعون عنها ويحتجون لها ـ أيقنت أن صاحب الإنصاف أفصح بياناً وأوضح برهاناً .

يمثل لنا ثعلب لحذف المضاف بقوله الفقه أبو حنيفة والنحو الكسائي ولكنه

لا يعرض علينا أنماطاً رائعة وصوراً بارعة لهذا النحو الكسائي حتى يحملنا على أن نؤمن له بأنه لا نحو إلا نحو الكسائي .

كذلك طبع كتاب أسرار العربية في أوربة سنة ١٨٨٦ م ومعه مقدمة باللغة الألمانية أيضاً .

ولما نفدت نسخه قام المجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه ونشره ولقد كان المجمع أريحياً في إخراجه لهذا الكتاب أخرجه في أبهى حلة وأجمل صورة طباعة أنيقة وورق غاية في الجودة .

موضوع الكتاب : عالج ٦٧ باباً من أبواب النحو والصرف .

اختار من كل باب طرفاً من مسائله وعلل لها بعبارة مبسوطة كل البسط واضحة كل الوضوح .

والتعليل لقواعد النحو صاحب وضع قواعده وقد أثر عن الخليل بن أحمد حديث طريف أرى من الخير أن أسوقه هنا .

سأل سائل الخليل فقال له أعن العرب أخذت هذه التعليلات أم اخترعتها من نفسك فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعلة هي كذا ، لعلة سنحت له وخطرت ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز

أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ؛ ثم قال فإن صحت لغيري علة لما علاته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

وقد عرض سيبويه والذين جاءوا من بعده لكثير من التعليلات ولكن الأنباري يمتاز بالأسلوب المبسوط والعبارة الواضحة .

الصلة بين الإنصاف وأسرار العربية : كتاب الإنصاف أسبق بالتأليف وقد أحال كمال الدين في أسرار العربية على الإنصاف في خمسة مواضع وكان يعبر عنه بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وأحياناً بالمسائل الخلافية .

وقد أحصيت المسائل المشتركة بين الكتابين فبلغت نحو أربعين مسألة لم يختلف الحديث عنها في الكتابين لا أسلوبا ولا عرضا ، ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى الصفحات والأوراق المشتركة بينهما .

عهد المجمع العلمي إلى أحد أعضائه وهو الأستاذ محمد بهجة البيطار بتحقيق كتاب أسرار العربية فقام الأستاذ بما عهد إليه خير قيام ، فأخرج لنا نسخة صحيحة من بين نسختين مخطوطتين وثالثة مطبوعة ؛ كما عنى بتفسير اللغة وشرح الشواهد وعزوها إلى قائلها ، وصنع للكتاب فهارس مفصلة وترجم لكثير من أعلامه .

ويجمل بي أن أسجل هنا بعض الخواطر التي بدت لي أثناء قراءة أسرار العربية استكمالاً للفائدة :

يذكر النحويون أن اسم لا النافية للجنس لا بد أن يكون نكرة متصلاً بها فإن فصل عنها بفاصل أو وقعت المعرفة بعدها أهملت لا ووجب تكرارها .

وقد جاءت المعرفة بعد لا من غير تكرير للا في قولهم لا نولك أن تفعل فاعتذر النحويون بأن عدم تكرير لا في هذا الأسلوب إنما يرجع إلى أن

المصدر هنا بمعنى الفعل المضارع فمعنى لا نولك أن تفعل لا ينبغي لك أن تفعل وهذه هي نصوص النحويين في كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٥٧ - وقالوا لا نولك أن تفعل لأنهم جعلوه معاقباً لقوله لا ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا وصار بدلاً منه فدخل فيه ما دخل في ينبغي .

ثم قال أيضاً في الجزء الثاني ص ٣١١ - وأما نول فتقول نولك أن تفعل كذا وكذا أي ينبغي لك فعل كذا وكذا وأصله من التناول كأنه يقول تناولك كذا وكذا .

وإذا قال لا نولك فكأنه قال أقصر ولكنه صار معنى لا ينبغي لك .

وفي أمالي الشجري ١/٢٣٢ - ونولك في قولهم لا نولك أن تفعل كذا مأخوذ من التناول للشيء وهم يريدون به الاختيار فإذا قالوا نولك أن تفعل فمعناه ينبغي لك أن تفعل والاختيار لك أن تفعل ، ويقولون لا نولك أن تفعل كذا ومعناه لا ينبغي لك أن تفعل ولم يلزم تكريره وإن كان معرفة لأنه بمعنى لا ينبغي لك فلم يلزم تكريره كما لا يلزم تكرير الفعل إذا دخلت عليه لا .

وقد أعاد هذا الحديث في الجزء الثاني ص ٢٢٥ .

وفي المفصل للزمخشري ٢/١١١ - وقولهم لا نولك أن تفعل كذا موضوع موضع لا ينبغي لك أن تفعل كذا .

ومثل هذا في شرح الكافية للرضي ١/٢٣٧ وفي التصريح على التوضيح وفي لسان العرب وغير ذلك من كتب النحو واللغة .

وفي أسرار العربية أخذ كمال الدين يعلل لوجوب تكرير لا إن وقعت المعرفة بعدها ثم أخذ يبين العلة التي من أجلها لم تكرر (لا) في قولهم لا نولك أن تفعل فقال وإنما لم تكرر (لا) لأنه بمنزلة لا ينبغي لك .

وقد أثبت الأستاذ البيطار مكان لا نولك أن تفعل لفظاً مصحفاً هو لا بد لك أن تفعل ثم قطع بأن النص المثبت في النسخة الأخرى وهو لا نولك أن تفعل سهو والنصوص التي ذكرناها والمقام الذي تحدث فيه الأنباري كل ذلك يقطع بأن لا نولك أن تفعل هي العبارة الصحيحة المتعينة في هذا المقام وليست من قبيل السهو كما يقول الأستاذ البيطار ثم ما صلة لا بد لك أن تفعل بهذا المعنى لا ينبغي لك أن تفعل فضلاً عن المقام وموضوع الحديث وهو تكرير لا، يراجع ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

نسب الأستاذ البيطار الشعر إلى قائله وفي أبيات كثيرة قال الأستاذ عنها لم أعرف قائلها .

ولما كان بعض هذه الأبيات معروف القائل رأيت من الخير أن أنسبها لقائلها مبيناً مصادرها .

١ — في ص ٩٧ في باب نعم وبئس قال عن البيت :

ألست بنعم الجار يولف بيته أخا قلة أو معدم المال مصرما

لم أعثر على هذا البيت ولا على قائله . وقد نسب الأنباري في الإنصاف في باب نعم وبئس أيضاً هذا البيت إلى حسان بن ثابت ٦٧ ونسبه أيضاً الشجري في أماليه الى حسان ١٤٧/٢ .

والبيت في ديوان حسان ١٩٨ برواية :

ألست بنعم الجار يولف بيته لذي العرف ذا مال كثير ومعدما

٢ — في ص ٢٩٩ قال عن البيت :

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

لم أقف على قائله ـ وهذا البيت من شواهد مغني اللبيب ونسبه ابن هشام للأعشى في باب الأشياء التي تحتاج الى رابط ١٢٦/٢ وهو بديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس ص ٧٧ من شرح الدكتور محمد حسين في هجاء يزيد الشيباني من قصيدة مطلعها :

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غد أم أنت للبين ساجم

٣ — في ص ١٠٣ قال عن البيت :

كأني بفتخاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطئ شملالي

لم أعلم قائله ـ وهذا البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن(1) كان في العصر الخالي

ورواية الديوان :

كأني بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شملالي

الديوان ١١٢ وشرحه للوزير أبي بكر عاصم ٦٣ .

٤ — في ص ٤٢٩ قال عن البيت :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل شطر تميم

لم أقف على قائله ـ وقد نسب الشجري في أماليه ٢/٤ هذا البيت إلى قطري ابن الفجاءة وأورده المبرد في الكامل في قصيدة لقطري مطلعها :

لعمرك إني من الحياة لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم

وهو أيضاً من شواهد الشافية وقد تكلم البغدادي في شرح شواهدها على قائله ص ٤٩٨ .

٥ — في ص ٣٨٥ قال عن البيت :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

(١) والصواب : « وهل يعمن (من) كان في العصر الخالي » كما ورد في الديوان (ص ٢٧) . (البيطار)

لم أعرف قائله ـ والبيت من شواهد المغني في حديثه عن هل ٢/٢٨ ونسبه شراحه إلى زيد الخيل الطائي .

وذكره أبو الفتح بن جني في الخصائص ٢/٤٦٣ وقد نسبه إلى قائله . وذكر قصة أبياته ومواطنها محقق الخصائص ومجلّيها أستاذنا الشيخ النجار .

٦ ــ قال عن البيت :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة حول كله رجب

لم أقف على قائله ـ والأنباري يذكر في الأسرار أن القصيدة منصوبة القوافي وكذلك ذكرها ثعلب في مجالسه ٢/٤٧٤ ـ ٤٧٥ ومطلعها :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يبعث[1] لي بعد النهى طربا

ونسبها لعبد الله بن مسلم بن جندب وروى بيت الشاهد هكذا :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة دهري كلّه رجبا

وقد ذكر مطلع هذه القصيدة المبرد في الكامل أيضاً . وساق القصيدة بأكلها ونسبها الشيخ المرصفي في رغبة الآمل ٧/٢١٤ .

٧ ــ قال الأستاذ البيطار في ص ١٤٤ لم أقف على ترجمة عبد بني الحسحاس ، وهي في صدر ديوانه المطبوع .

هذا وأعود مرة أخرى إلى الإشادة بجهد الأستاذ البيطار وبأريحية المجمع العلمي العربي بدمشق .

وأسأل الله الكريم أن يهيئ لسائر الذخائر والأعلاق المخطوطة من يقوم بنشرها وتيسير النفع بها .

محمد عبد الخالق عضيمة

---

(١) الرواية في مجالس ثعلب : (يحدث) بدلاً من (يبعث) . « البيطار »

تعليق على المقال لمحمد بهجة البيطار

كان كتب الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة المدرس في كلية اللغة العربية ـ في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة ـ تعريفاً ونقداً لكتاب «الموفي في النحو الكوفي» وشرحه ، جاء فيه : «وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانّها» وقد وصف (الموفي وشرحه) بذلك أحسن وصف . واكتفى ـ على ما يظهر ـ بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وأجبناه على منتقداته من نفس الكتاب ، ثم قلت في الختام : «والظاهر أنّ الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نرَ له عزواً إلى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كلٍّ فله منا أعطر الشكر» ، (مجلة المجمع العلمي م ٢٧ / ٦٢٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والآن ورد على المجمع العلمي العربي بدمشق هذا المقال الجليل ، ذو الفوائد الجمّة والمباحث المهمّة ، في اللغة والنحو والأدب ، وفي آخره مستدركات على كاتب هذه السطور ، في تعليقاته على «الأسرار» مع الدلالة على أماكنها ونقل عني في (ص ١٤٤) قولي : لم أقف على ترجمة عبد بني الحسحاس ، وهذا صحيح ، لكنني استدركت في (ص ٤٣٥) فأثبتُّ ترجمته تحت الرقم (١٤) فلتراجع .

وإني أعلن شكري الخالص للأستاذ عضيمة ، جزاه المولى عن أخيه وعن القرّاء أفضل الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٢٠٩ سخرية الشدياق . . . . للأستاذ شفيق جبري . .
٢٢٥ العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية» (٣) . . . . . . للمطران غريغوريوس بولس بهنام
٢٤٣ الإيلاف أو المعونات غير المشروطة . . للأستاذ ظافر القاسمي . .
٢٥٦ الزجّاجي : حياته وآثاره (١) . . للأستاذ مازن المبارك . .
٢٧٣ كتاب شرح الألفات (١) . . . . للأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي
٢٩١ رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء . . للدكتور صلاح الدين المنجد .
٣٠٠ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات (٢) للدكتور حسني سبح . .
٣٢١ مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (٢) للدكتور صالح الأشتر . .
٣٣٢ كتاب النفس لابن باجّة الأندلسي (٦) . للدكتور محمد صغير حسن المعصومي

التعريف والنقد

https://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٤٥ الحياة الجنسية عند العرب
٣٤٧ محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان للأستاذ شفيق جبري . .
٣٤٩ كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة
٣٥١ الأئمة الاثنا عشر . . . . . .
٣٥٣ تفسير القرآن الكريم . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٣٥٨ أنا والشعر . . . . للدكتور جميل صليبا . .
٣٦٤ تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك
٣٦٥ (٥٥) ألف كيلومتر على دراجة نارية . . للأمير جعفر الحسني
٣٦٧ الإمام الصادق ملهم الكيمياء . . . للأستاذ حسن الصفا

آراء وأنباء

٣٦٨ الدكتور عبد الوهاب عزام (وفاته) . . . .
٣٧١ علاوة خاصة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٣٧٦ أسرار العربية لكمال الدين الأنباري . للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة
٣٨٣ تعليق على مقال الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة للأستاذ محمد بهجة البيطار .